الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب و اللغات

قسم: اللغة والأدب العربي .

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIE

ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA

FACULTE DES LETTRES ET LANGUES

DEPARTEMENT DE LA LANGUE ET LITTERATURE ARABE

الرقم:.....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص أداب جزائري

الالتزام في أدب الرّحلة الجزائريّة الحديثة

(نماذج مختارة)

من إعداد الطالبتان:

- جودة سيلة.
- نورهناء زغدودي.

تاريخ المناقشة:13/07/2021

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
عبد المجيد بدراوي	أستاذ محاضر(ب)	جامعة 8ماي1945 قالمة	رئيسا
أحلام عثامنية	أستاذ محاضر(أ)	جامعة 8ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
عبد العزيز العباسي	أستاذ مساعد(أ)	جامعة 8ماي1945 قالمة	مناقشا

السنة الجامعية : 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

نشكر الله سبحانه و تعالى على فضله وتوفيقه لنا، القائل في كتابه: ﴿ و إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ الآية رقم: [07] سورة إبراهيم.

نتقدّم بخالص الشكر الجزيل والعرفان الجميل، والاحترام و التّقدير لمن غمرتنا بالفضل، واختصتنا بالنّصح وتفضّلت علينا بقبول الإشراف على رسالة الماستر أستاذتنا الفاضلة الدكتورة أحلام عثامنية التّي سهلت لنا طريق العمل ولم تبخل علينا بنصائحها القيمة، فوجهتنا حين الخطأ، وشجعتنا حين الصواب، فكانت قبس الضياء في عتمة البحث، ولم تدخر جهدا ولم تبخل علينا من وقتها الثمين، أبقاها الله ذخرا لطلبة العلم، و جعل ذلك في ميزان حسناتها وأرضاها بما قسم لها.

كما نتقدمّ بجزيل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة، وأساتذتنا الكرام في قسم اللغة و الأدب العربي بجامعة

8ماي1945 ق المة.

مقدمة

الرحلّة قديمة قدم الانسان، دورها مهم في الكشوفات الجغرافيا، فضلا عن خلقها لجسور التّواصل بين الشعوب واكتساب معرفة الغير و الاطلاع على سلوكاته، ونقل ترابط المجتمعات وبخاصة ما تعلّق بالعادات والتقاليد والأعراف المميّزة لهذه الشعوب.

وهذا ما دفع ببعض الدارسين إلى الاهتمام بما يقدمه الرّحالة في رحلاتهم، فنشأ أدب قائم بذاته، أُطلق عليه أدب الرّحلة، إلاّ انّه لم يلق حظه الوافر في الدراسات الأكاديمية والغير الأكاديمية في الأدب العربي بعامة والجزائري بخاصة، على الرغم من أنّ الرّحالة الجزائريون رحلاتهم لم تكن للتّجوال و التجمام، بل كرّسوها للعلم و المعرفة والتنقيب في قضايا شعوبهم فنجدهم التزموا بقضايا وطنهم وقومهم فنقلوها وعرضوها على الغير وعرّفوا بها .

وبهذا يتحدّد موضوع بحثنا الموسوم بـالالتزام في أدب الرّحلة الجزائرية الحديثة، ومن أهم أسباب اختيارنا له هو دراستنا لأدب الرّحلة كمقياس في السنّة الاولى ماستر أدب جزائري، ولكن وللأسف لم نتوغل فيه ونروي عطشنا منه بسبب جائحة كوفيد 19، من هنا جاء اختيارنا لهذا الموضوع مسلّطين الضّوء على أبرز مظاهر الالتزام في الرّحلة الجزائرية الحديثة، محاولين من ذلك المساهمة في إثراء المكتبة الأدبية من خلالها، وضرورة الاهتمام بالأدب الجزائري بعامة وأدب الرّحلة بخاصة لأنّه رمز من رموز حضارتنا العريقة.

والهدف من هذا هو التّعرف على نماذج من الرّحلات الجزائرية الحديثة الدّاخلية والخارجيّة، وإزالة السّتار عن القضايا الوطنية في الرّحلة الداخلية، وكذلك الكشف عن القضايا القوميّة في الرّحلة الخارجية، ومعرفة مدى التزام الرّحالة الجزائريون بها، وكذلك الاطلاع على المناطق المزارة، واكتشاف أهميتها التّاريخية، والترّويج للسياحة الجزائرية من خلالها .

أمّا الاشكالية المطروحة والّتي تثار عن الموضوع فهي فيما تجلّت قضايا الالتزام في الرّحلات الجزائرية الحديثة؟ وقد تفرعت عنها عدّة تساؤلات؛ نذكرها كالآتي:

ما مدى التزام الرّحالة الجزائريين في رحلاتهم؟ وما هي أهم مظاهر الالتزام؟، وهل كان التزامهم بالقضايا الوطنية فقط أم بالقومية كذلك؟.

وقد حاولنا الإجابة عن هذه التساؤلات بالاعتماد على المنهج التحليلي في دراسة نماذج من الرّحلة الجزائرية الحديثة الخارجية منها والداخلية لأنّه الأنسب لهذه الدراسة.

ولتحقيق ذلك رسمنا خطة افتتحناها بمقدّمة، تلاها مدخل، تناولنا فيه مفهوم أدب الرّحلة ونشأة الرّحلة في الأدب الجزائري الحديث، التّعريف بالرّحلات قيد الدراسة، مفهوم الالتزام الفرق بين الالتزام و الالزام، الالتزام في الأدب الجزائري.

وفصلين تطبيقين، خصصنا الفصل الأوّل للحديث عن قضايا الالتزام في الرّحلات الجزائرية الحديثة الداخلية، وأدرجنا تحتها خمس قضايا وطنية هي : قضيّة الدّين، وقضيّة العلم ، وقضيّة القيم الأخلاقيّة، وقضيّة العمل، وقضيّة الموروث الثّقافي، في حين خصصنا الفصل الثّاني للحديث عن قضايا الالتزام في الرّحلات الجزائرية الحديثة الخارجية، انضوى تحته ستة قضايا: قضيّة العلم، قضيّة الدّين، القضيّة الجزائرية ابّان الاستعمار، قضيّة الاغتراب، القضيّة الفلسطينية، قضيّة الموروث الثقافي، وانهينا البحث بخاتمة كانت حوصلة لأهم ما توصلنا إليه في البحث من نتائج، وأخيرا ملحقا عرفنا فيه بالرّحالة الجزائريين الّذين درسنا رحلاتهم وهم : عبد الحميد ابن باديس، البشير الابراهيمي، الطيّب المهاجي الجزائري، مالك بن نبي، ابو القاسم سعد الله، وعرضنا مجموعة من الصور للمناطق المزارة.

اعتمدنا في ذلك على مجموعة من المصادر اهمّها:

- آثار ابن باديس لعمار طالبي .
- مذكّرات شاهد القرن لمالك بن نبي .
- تجارب في الأدب و الرّحلة لأبي القاسم سعد الله.

- آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي.

ومجموعة من المراجع كالمعجم الأدبي لجبور عبد النور ، ومعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش، و الرّحلة في الأدب العربي لناصر عبد الرزاق المواقف.

بالإضافة إلى الدراسات السابقة في مجال أدب الرّحلة الجزائرية الّتي مهدت لنا سبيل الدراسة لموضوعنا كمحاضرات في أدب الرحلة الجزائري لأحلام عثامنية .

وخلال انجازنا لهذا البحث واجهتنا بعض الصعوبات منها: ندرة الدراسات الّتي تناولت موضوع الالتزام في أدب الرّحلة و لا سيما الرّحلة الجزائرية ، افتقار مكتبة الكلية لمراجع تخدم موضوعنا، بالإضافة إلى ضيق الوقت .

وأخيرا نتوجه بالشّكر للأستاذة المشرفة **أحلام عثامنية** الّتي رافقتنا طيلة فترة بحثنا بتوجيهاتها ونصائحها الثمينة، ومتابعتها لنا خطوة بخطوة، فلولا ملاحظاتها ما ظهر البحث في ثوبه هذا .

كما نتقدّم بالشّكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة على تجشمها عناء قراءة هذا البحث، وتقويم ما اعوج منه.

المدخل: مفاهيم ومصطلحات

أولا–مفهوم أدب الرّحلة

ثانيا–نشأة أدب الرّحلة في الجزائر وتطوّرها

ثالثا–التّعريف بالرّحلات قيد الدّراسة .

رابعا–مفهوم الالتزام.

خامسا–الفرق بين الالتزام والالزام .

1. الالتزام في الأدب الجزائري

1_مفهوم أدب الرّحلة:

تعدّ الرّحلة وعاء معرفي، يضمّ مختلف السّلوكيّات الإنسانيّة الّتي ترصد لنا، ترابط المجتمعات وتأثّرها ببعضها، ما أدّى إلى ظهور أدبا يسمّى بأدب الرّحلة .

يعرّفه " جبور عبد النور" ب: " **فنّا من الفنون الشّائعة في معظم بلدان العالم، وقد ساعد على ازدهارها اختلاط الشّعوب، وسهولة المواصلات، وحبّ الاطّلاع ومعرفة ما في العالم من عادات وتقاليد**[1]" . أي أنّ أدب الرّحلة أدب عالمي يرصد عادات وتقاليد الشّعوب على اختلافها.

كما أشار أيضا إلى شروط التّأليف في هذا الفنّ قائلا :" **يقتضي التّأليف فيها ثقافة واسعة ودقّة في الملاحظة، والتقاط الملامح المعبّرة ومشاركة في عدد كبير من المعارف لاحتواء الرّحلة على معارف، وعلوم متعلّقة بالتّاريخ، والجغرافيّة، والفلسفة، والاجتماع والادب، وتفرض الأناقة في تغيير المفردات، وصياغة العبارات ،وتنسيق الفصول**" .[2]

يرى جبور عبد النور بأنّ أدب الرّحلة هو ذلك الفن الذي يطلعنا على عادات وتقاليد الشّعوب من خلال الوصف ونقل المشاهدات بدقّة متناهية، حيث نجده غنيّ بالمعارف المختلفة والمتنوعّة.

[1]- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ، بيروت، ط2، (د، ت)، ص: 121

[2]_المرجع نفسه، ص:122.

ويعرّفه "سعيد علوش" في معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة بأنّه " **أدب يدخل في الصّورولوجيّة، أي دراسة صورة شعب بشعب آخر، ومن روّاد أدب الرّحلات في هذا الإطار (ج.م كاري) و (الطهطاوي) و (أنور لوفا)، ويتّبع أدب الترحال عادات وتقاليد وتأثيرات إقليميّة** "[1]

إذا فأدب الرّحلة هو ذلك الأدب الّذي يصوّر حياة الشّعوب من عادات وتقاليد ومعتقدات.

ويعرّفه "عبد الرزاق الموافى" في قوله :"**هو مجموعة الآثار الأدبيّة الّتي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، لتسجيل دقيق للمناظر الطّبيعيّة الّتي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كلّ هذا في آن واحد** " .[2]

يقوم أدب الرّحلة على السّرد و التّسجيل، والوصف حيث ينقل الرّحالة لكلّ ما يتعرّض له في أثناء سفره و ترحاله.

وعند "انجيل بطرس" **أدب الرّحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرّحلات الواقعية، وهي الرّحلة الّتي يقوم بها رحّالة إلى بلد من بلاد العالم....وهناك صفتان عامّتان لابدّ من توفرهما في أدب الرّحلة وهما:**

أوّلا: أن يكون من يكتب عن الرّحلات رحّالا بطبعه محبّا للرّحلات.

ثانيا: أن يكتب بالأسلوب الّذي يجعل وصفه للرّحلة يعكس روح الرّحلة والرّغبة الشّديدة الّتي تتملّكه للقيام بها " .[3]

[1]_سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط1، 1985، ص: 98 .

[2]_ناصر عبد الرزاق الموافى، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ط1، 1995، ص: 38.

[3]_المرجع نفسه، ص: 38.

يقوم أدب الرّحلة على ركيزتين هما: شخصية الرّحالة، وحبّه للتّرحال، والأسلوب المشوّق النّاقل لروح الرّحلة أي طريقة صياغة ذلك السّفر.

ويعرّف أدب الرّحلة أيضا بأنّه : "**شكل أدبي له خصوصيّاته التي تشير إلى إضافة نوع أدبي جديد يسمّى أدب الرّحلات، نوع يشبه الرّواية من تنوّع عوالمه، ولكنّه يختلف عنها من حيث تقنيّات السّرد التي يهيمن عنصر الزّمن، وتنوّع ايقاعه في الرّواية، وتقترب من السّيرة الذّاتيّة و أدب المذكّرات** ." [1]

من خلال ما سبق يمكن القول أنّ أدب الرّحلة: فنّ نثري يقوم على السّرد والوصف والإخبار، حيث يعتمد فيه الرّحال على أسلوب التشويق لتسجيل كلّ كبيرة و صغيرة، تتعرض طريق سفره، فيعود بالمنفعة عليه وعلى القراء معا.

[1]– عبد العليم محمد اسماعيل علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي (الدورة الثامنة)، www,sd zain.com ، 13سا و45د، 26 ماي 2021، ص: 09

2-نشأة أدب الرّحلة في الجزائر وتطوّره :

عرفت الرّحلة الجزائريّة تبكيرا في مسارها نحو الأقطار و المراكز العلميّة والأماكن المقّدسة، فقد أحدث الدّين الإسلامي منعطفا كبيرا نحو التّعارف وطلب العلم وأداء الفرائض الّتي تقتضي التّنقّل والسفر، وتحمّل الأتعاب والأعباء، ومن ثمّ سارع الجزائريون إلى تلبية كلّ مطلب يقتضي السّفر، متجشّمين أتعابه وعوائقه، فارتشفوا طعم الأموال من أجل التّحصيل العلمي، وأداء فريضة الحجّ على وجه الخصوص .[1]

كما يمكن ربط الرّحلة في الجزائر بالرّحلة في المغرب العربي انطلاقا من أنّ الرّحلة الجزائريّة امتداد طبيعي لرحلات المغرب العربي، كون الجزائر تمثّل جزءا لا يتجزّأ من المغرب الكبير .[2]

_فهذا الامتداد يشمل كلّا من الاتّجاه والمضامين والأغراض، وعن أبعاد هذه الفكرة يحدّثنا أبو القاسم سعد بقوله :" **فلمّا اتّجه الرّحالة الجزائريّون في القديم إلى المغرب أو الأندلس ،كان اتجاههم مثل اتّجاه المغاربة أنفسهم، نحو المشرق، للحجّ أو طلب العلم أو الهجرة، وكثرت الرّحلات المغربيّة نحو المشرق حتىّ أنّ من أراد أن يكتب عن الجزائر الماضية مثلا لا يمكنه أن يستغني عن رحلات التمغروتي، والعبدري، والبلوري، والغساني** ... "[3]، أي اتّجاه الرّحلة في الجزائر شأنها شأن اتجاه الرّحلة المغاربيّة سواء على مستوى المضمون أو الهدف منها .

ولعل شيوع حركة الطّبع و النّشر ساهم إلى حدّ كبير في ازدهار فنّ الرّحلة في المغرب العربي خلال القرنين 17 و 18، بعد الرّكود الذي أصابها في قرون مضت خاصّة في القرن 16م، هذه الحركة الّتي قامت بدور مهم، في نشر بعض الآثار، ومنها الرّحلة، فاستأنفت منطقة المغرب العربي

[1] _عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائرية الحديث ، سياق النص وخطاب الأنساق، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري الحديث، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، الجزائر، 2016، ص : 15.

[2] _المرجع نفسه، ص: 14.

[3] _أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، الوطنية للكتاب، الجزائر، (د، ط)، 1983، ص:203.

الإسلامي دورها في فنّ الرّحلة، بأعلام مثل: العياشي ... وينتهي القرن 18 م بالجزائريين (ابن حمادوش) و(الورتلاني)...[1]

كان ظهور اسم " الورتلاني " وغيره من أمثال : أحمد بن عمار ومحمد بوراس المعسكري والمشرفي مرتبطا بالعصر الّذي ازدهر فيه أدب الرّحلة في الجزائر، من خلال ما أقره كل من "عبد الله الركيبي "و"عيسى بخيتي "

يقول الركيبي :"**وقد أسهم الرّحالون الجزائريّون في عصر الأتراك بمجهودات كثيرة في هذا المجال ومارس هذا الفنّ كتّاب كثيرون و لاسيما تلك الرّحلات الدينيّة ...وبعض هذه الرّحلات طبع حديث والبعض الآخر لازال مخطوطا حتّى اليوم**" [2].

من خلال قول الركيبي يتبيّن لنا أنّ الرّحلة في عهد الأتراك عرفت ازدهارا كبيرا بسبب توجّه الكتّاب لهذا الفن وبخاصة ما تعلق بالرّحلات الدينيّة .

ولعلّ حجم نصوص الرّحلة الجزائريّة في هذا العهد، قد حدّده التّنوع في طرق تقديم التّجربة الرّحليّة التي اتّخذت من النّص الشّعري و النّثري أداة لها :"**فمن الرحّالين من استهوته الكتابة حول تجربته الرّحليّة نثرا فعبّر عن ذلك في سرد وقائع تلك الرّحلة، ومنهم من استهوته كتابتها شعرا أو نظما، فنظم قصيدة ذكر فيها ذكر فيها مراحل سفره وأشواقه وحنينه** ".[3]

إنّ ما يميزّ هذه المرحلة أيضا هو اختلاف مهمّة الرّحّالة الجزائري في أثناء تغطية أخبار الرّحلة بين الأديب تارة والمؤرّخ تارة أخرى،" **فإذا عني الرّحالة بتصوير شعوره لوصف ما شاهد أو حاول استخلاص فكرة معيّنة فإنّ رحلته حينئذ تدخل في مجال الأدب لأنّه ينفعل ويتأثّر ويصور لنا**

[1]_عمر بن قينة ، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1956، ص: 15.

[2]_عواج حليمة، تشكلات الخطاب الرحلي عند البشير الابراهيمي بين العلمية والامتاع الأدبي، مجلة العلوم الانسانية، جامعة باتنة 1 الجزائر ، ع2 ،2019 ، ص : 461.

[3]_عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، سياق النص وخطاب الأنساق، ص: 31.

هذا من خلال عمله الأدبي، ولكنّه حين يصف الأشياء بنوع من التّجريد فهنا يصبح مؤرّخا لا أديبا لاحظ الخيال في رحلته يكون قليلا" .[1]

هذا من جهة، ومن جهة أخرى حين نتأمّل المضامين والأغراض فإنّ أهم ما يميز رحلات الجزائريين أنّ معظمها يتمحور حول الجوانب الدينيّة أو العلميّة ؛ ونستدل على هذا الرأي على سبيل التّمثيل بقول أحد الباحثين : " **وكان هؤلاء يسجّلون انطباعاتهم كلّ حسب مشربه وتكوينه، فمنهم من غلب على كتاباته الطّابع الدّيني، ومنهم م اهتمّ بالعلم ورجاله، ومنهم من تحدّث عن المدن ووصف "المسالك و الممالك ". ولكن أعمالهم جميعا أصبحت لا غنى عنها للمؤرّخين والجغرافييّن وعلماء الاجتماع**[2] "؛ إنّ المقصود هنا مهما تعدّدت الدوافع والأهداف فإنّها تعتبر مادّة غنيّة يغترف من وعائها كلّ من احتاج لذلك كالمؤرّخ وغيره، فالأديب الرّحالة يقدّم طبقا متنوّعا في مكوّناته بين أدب وتاريخ وعلم دين ووصف لأماكن ، وسرد لأحوال وأسرار شعوب وأمم وثقافتهم و علاقتهم ...الخ .

وعليه فإن طغيان الطّابع الدّيني والعلمي على مضمون الرّحلة الجزائريّة لا يلغي تماما وجود طابع آخر، فقد نجد مثلا رحلات أخرى اتّخذت طابعا جغرافيّا تاريخيّا استطلاعيّا، و أخرى اكتست طابعا سياسيّا في شكله العام.[3]

لقد تطوّر فنّ الرّحلة في الجزائر في العصر الحديث واهتمّت بالجانب الجغرافي والتّاريخي، وذلك بنقل الانطباعات و المشاعر و التصوّرات كما نقلت قضايا ايديولوجيّة وثقافيّة وحضاريّة من جهات نظر الكتّاب وتعدّدت الأغراض أيضا من دينيّة إلى تعليميّة إلى تجوال وسياحة .

ومن بين هذ الرّحلات رحلات داخليّة وخارجيّة نذكر منهم :

---

[1]_المرجع السابق، ص: 31.

[2]_أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب و الرحلة، ص: 203.

[3]_عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث ، (تاريخيا.. و أنواعا.. و قضايا.. وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د ،ط) ،1955،ص: 15

رحلات "ابن باديس" والّذي سجّل خمس رحلات شملت العديد من المدن الجزائريّة، وهي لا تخرج في معظمها عن توعيّة الشّعب والتي حملت العناوين الآتية : للتعاون والّتذكير، جولة صحفيّة في بعض جهات الوطن، ثلاثة أيام ببسكرة، رحلتنا الى العمّالة الوهرانيّة .

ومن الرّحالة في القرن العشرين بعد الاستقلال فنذكر رحلة "عمر بن قينة " مدينة الجلفة والّتي كانت تحت عنوان " في ثنايا الجنوب الوديع " الّتي جّسد فيها مظاهر الكرم والنبل لهذه المنطقة .

أمّا الرّحلات الخارجيّة فنجدها على قسميّن، القسم الأوّل كان باتّجاه الوطن العربي والإسلامي، في حين كان القسم الثّاني نحو دول أجنبية.

ففي القسم الأوّل سنقف على سبيل المثال لا الحصر على رحلة " محمد البشير الإبراهيمي " إلى مصر وباكستان" خلال الثورة ، ورحلة "أبو القاسم سعد الله" إلى شبه الجزيرة العربية بعد الاستقلال قد حملت رحلة "البشير الإبراهيمي إلى مصر وباكستان عنوان "رحلتي إلى الأقطار الإسلاميّة".

حدّد فيها الأهداف المتوخّاة من هذه الرحلة بدراسة أحوال المسلمين في مواطنهم والاتّصال برجال الدّين ودراسة أحوال الحكومات الإسلاميّة .

ولعلّ أهمّ الرّحلات التي تحمل طابعا سياسيّا قوميّا، رحلات أحمد توفيق المدني، تعدّدت رحلاته الخارجيّة وتنوّعت، خصوصا في الوطن العربي، فكانت القاهرة ودمشق وبغداد والسّعودية والكويت والأردن وليبيا وتونس والسودان و الصومال.

والقسم الثّاني الّذي كان تحول دول أجنبيّة، نجد رحلة محمود بوزوزو سنة 1939م الى فرنسا بعنوان "من وحي البرلمان الفرنس" ورحلة أحمد رضا حوحو سنة 1950 الى الاتّحاد السّوفياتي وقد أطلق على رحلته عنوان "وراء الستار الحديدي" واصفا فيها الحياة الثقافيّة لد السوفيات .[1]

[1] عثامنية أحلام، محاضرات أدب الرحلة في الجزائر، جامعة 8ماي1945، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي، الجزائر،2019-2021.

ونختم برحلات "أحمد منور" المتعددة، فمنها ما كانت أوروبية الوجهة مثل رحلته إلى فرنسا و إنجلترا سنة 1976. وكان الغرض منها السّياحة و التّجوال.

وخلاصة قولنا، مهما كانت الحجج المساقة في أنّ الرّحلة الجزائريّة ضئيلة الكّم، ضعيفة الانتاج مقارنة مع أنتج في البلدان العربية، على وجه الخصوص في المغرب الأقصى، إلا أنّنا نؤكد على أنها أضافت على رصيدها الحضاري نوعا جديدا من الإبداع الأدبي المتميّز سواء في مضمونه وأسلوبه أم في هدفه واتّجاهه. كما سعت هادفة الى ابراز معالم الجزائر الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة ... ، والكشف عن خصوصيّات الشخصيّة الجزائريّة ودورها في تأسيس الهويّة الوطنيّة فركزت أكثر على الدين والعلم.

3) التّعريف بالرّحلات قيد الدّراسة :

لدراسة الثّقافة الإنسانيّة الجزائريّة، ومدى التزام الرّحالة الجزائريّين بقضايا شعبهم، لابد أن نطّلع على رحلاتهم، حيث قسمناها إلى:

- رحلات داخليّة.
- رحلات خارجيّة.

أ_ الرّحلات الداخليّة:

هي رحلات قام بها أصحابها داخل وطنهم، فوصفوا ودوّنوا كل ما شاهدوه، نذكر منها :

أوّلا: رحلات ابن باديس: ومنها :

1_التّعارف والتّذكير:[1]

حطّ ابن باديس رحاله بعدّة مناطق في شرق الجزائر، بداية بالحروش ثم عزابة وبعدها سكيكدة، ثم سسانوطونو، ومجاز الدشيش، وسيدي مزريش، وعين مليلة، وأم البواقي، وعين البيضاء، وأخيرا مسكانة، أين قام بتقديم دروس لشباب هذه المناطق في المساجد حيث قدم وصف لأخلاقهم .

[1]_عمار الطالبي، آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط3، 1997، مج 2، ص: 298.

يقول: "مجمع أهل الفضل من القرية ونواحيها ولا نطيل بتفصيل ما لقيناه من إكرام وعناية"، كانت رحلته هذه ذات طابع إصلاحي وإرشادي.

2_جولة صحفية:

هي عبارة عن رحلة مهنيّة قام بها عبد الحميد ابن باديس بغرض خدمة المجلّة، حيث زار كلّ من : "**سطيف، البرج، تازمالت آقبو، زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي بسيدي عيش، بجاية عزازقة، تيزيوزو، دلس، تاقزيريت، أزفون، فورناسيونال (الاربعاء) : ميشليي (عين الحمام) الى تازمالت، محطة القطار الى قسنطينة** "[1]على الترتيب.

3_ في بعض جهات الوطن :

عرّف في هذه الرّحلة بجمعيّة العلماء المسلمين، والغرض منها، كما قدّم فيها دروس للتّذكير بالله تعالى، حيث حطّ " **في مليانة، ثم خميس مليانة، ثم الأصنام، ثم غيليزان، ثم مستغانم، ثم أرزيو، ثم ومصران** ".[2]

4_رحلتنا الى العمّالة الوهرانية :

قام فيها الرّحالة بزيارة كلّ من " **المديّة، البرواقية، قصر البخاري، الجلفة، الأغواط، آفلو، سوق تيارت، فرنده، معسكر، مغنية، وهران، سيدي بلعباس، تموشنت، تلمسان، مغنية، الغزوات، ندرومة، آرزيو، بريقو، مستغانم، زاوية الشيخ، ابن طكوك، غليزان** " .[3]أعطى في كلّ هذه المناطق الّتي حلّ بها دروسا في الفضائل ونبذ الرّذائل .

---

[1]_المصدر السابق، ص: 306

[2]_ المصدر نفسه ،ص: 308.

[3]_ المصدر نفسه، ص:318 .

ثانيا : رحلة مالك بن نبي :[1]

هي مذكّرات ومواقف عاشها في مدينتي قسنطينة وتبسة، وكانت تربط بين لأفراد عائلته أواصر المحبّة والتّعاون، كأي عائلته جزائريّة ، بسيطة ابّان فترة الاستعمار .

ثالثا : رحلة أبو القاسم سعد الله (خنقة سيدي ناجي):[2]

حطّ أبو القاسم سعد الله في شهر فيفري عام 1980م رحالة بعدّة مناطق بولاية بسكرة بدراية بمدخل زيبة الوادي، ثمّ جبل شرشال، ثمّ دار السّيد الدريدي، ثمّ واد العرب، ثمّ دار اشيخ أحمد زروق بلملكي، ثمّ زاوية الناصرية ثمّ الجامع الكبير ثمّ زاوية الشيخ عبد الحفيظ ثمّ مسجد زريبة الوادي.

ب-**الرحلات الخارجيّة:**

نجدها على قسمين، القسم الأوّل كان باتّجاه الوطن العربي والإسلامي، في حين كان القسم الثّاني نحو دول أجنبيّة.

أوّلا: رحلات أبو القاسم سعد الله: ومنها:

1_ رحلتي الى المغرب :

زيارة أبو القاسم سعد الله إلى المغرب في الفترة الممتدّة من 29 جويلية الى 19 أوت سنة 1973م، للبحث عن المخطوطات الّتي تعيّنه في مادّة كتابه تاريخ الجزائر الثّقافي، ويظهر ذلك في قوله: " توجّهت إلى الخزانة العامّة (المكتبة الوطنيّة) بحثا عن المخطوطات الّتي جئت من أجلها "،كما التقى بشيوخ من أمثال الأستاذ " محمد إبراهيم الكتاني" و"عبد الملك مرتاض" . [3]

[1]_مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص: 11.

[2]_أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب و الرحلة ،ص: 257.

[3]_المصدر نفسه، ص: 209.

2_رحلتي إلى الجزيرة العربيّة :

كان سفره فيها يوم 21 أفريل صباحا سنة 1977م وهي رحلة بدعوة من جامعة الرّياض للمشاركة في النّدوة الّتي تنظّمها عن مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة، ونجده يقول : " فمنذ اتّصلت من جامعة الرّياض بدعوة للمشاركة في النّدوة الّتي تنظّمها عن مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة "[1] هدفه من هذه الرّحلة كان بدافع علمي ثقافي. ومن الأماكن التي زارها نجد: جدّة، الرياض، والدرعية، والسعودية، والمدينة، ومكّة، وبعض المرافق العامة .

ثانيا : رحلات البشير الإبراهيمي:

1_إلى باريس :

كانت رحلة "الشّيخ البشير الإبراهيمي "إلى فرنسا في شهر أكتوبر سنة 1950م .

من أجل هدف واحد متفرع إلى قضيّتين، باريس هي مركزهما، وهي ميدان الأعمال لهما...، أما القضيّة الأولى فهي: فصل الحكومة الجزائريّة عن الدّين الإسلامي، وحريّة التعليم الإسلامي، أما القضيّة الثانية فهي: قضيّة الاهتمام بالمغتربين الجزائريين في فرنسا .[2]

2_رحلتي إلى الأقطار الاسلاميّة :

شيّعت رحلته في مطلع 1952م، فزار كلّ من مصر وباكستان؛ فأمّا عن الأولى التقى الشّيخ خلالها كثيرا من الشّخصيات السياسيّة والفكريّة والعلميّة، أمّا الثّانية باكستان؛ فقد كانت استجابة لدعوة وصلته من هنالك للمشاركة في مؤتمر الشّعوب الإسلاميّة في كراتشي باسم مؤتمر" العالم الإسلامي القديم" كانت بداية هذه الرّحلة في العشرين من شهر مارس 1952. ومن دوافع رحلته:

[1]_المصدر السابق، ص: 235 .

[2]_https://binbadis.net، أبو القاسم العباسي، الشيخ الإبراهيمي، 02سا و52د.

التّعريف بجمعّية العلماء المسلمين الجزائريّين وأعمالهم للإسلام والعربيّة والتّعريف بالجزائر والشّمال الإفريقي...[1].

ثالثا: رحلة الطيّب المهاجي إلى الحجّ :

كانت هذه الرّحلة بحريّة حيث جاب فيها السّواحل الجنوبيّة والشرقيّة للبحر الأبيض المتوسط ، وصولا إلى ميناء جدّة. وقد اهتم بتدوين رحلته فوصف تفاصيلها منذ أن حصل على رخصة السّفر من الحكومة الاستعماريّة الفرنسيّة بالجزائر آنذاك إلى ركوبه المركب المخصّص لنقل الحجّاج والقادم من ميناء دار البيضاء بالمغرب إلى وهران فالجزائر فعنابة وصولا الى ميناء جدّة .[2]

مفهوم الالتزام:

- ظهرت فكرة الالتزام إلى الوجود في العصر الحديث، نتيجة احتكاك الأديب بمشكلات الحياة، وشعوره بخطورة الدّور الّذي يجب عليه أن يقوم به اتجاهها، والالتزام يعني: " **أن يضع الأديب أو رجل الدّين أو رجل السّياسة، جميع قواه الماديّة، والمعنويّة، وجميع طاقاته العقليّة والفنيّة في خدمة قضيّة معينة** "[3]. بمعنى أن يقوم الأديب أو الفرد الملتزم، سواء كان سياسي أو ديني، على بذل كلّ مجهوداته في تلبية وخدمة قضيّة من قضايا المجتمع .
- كما يعدّ الالتزام نظام يتّبع في الحياة من لدنّ الفرد والجماعة، فلا تستقيم الحياة إلاّ به كما ذهب إلى ذلك" محمد قطب" في قوله : "**الالتزام هو الّذي ينّظم حياة البشريّة ... فحياة الفرد لا تنتظم إلّا بالتزامه نظاما معينا في معيشته...يشمل طريقة أداء كل عمل من هذه الأعمال ويشمل إنشاء علاقات بأفراد الأسرة وأفراد المجتمع وحياة المجتمع لا تستقيكذلك**

---

[1] -أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج4، ص: 30-32-33.

[2]-فاطمة بلهواري، الرحلة الحجية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري في عام 1932م، من خلال كتابه أنفس الذخائر وأطيب المآثر، مجلة الموروث، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ع1، 2020، ص: 01.

[3]_لخضر العرابي، الأدب الاسلامي، ماهيته ومجالاته، دار الغرب، وهران، (د ،ط) ،2003، ص: 15 .

إلا بالتزامه نظاما معينا يشمل العلاقات الاجتماعية والاقتصاديّة والسياسيّة والسلوكيّة والخلقيّة و الروحيّة"[1]. أي أنّ لكل مجتمع من المجتمعات البشرية نظم وقوانين وضعت خصيصا لتنظيم الحياة وتنسيق العلاقات بين الناس في كلّ المجالات الحياتيّة.

- كذلك هو طريقة وتقنيّة قديمة ترتبط بالمضمون والشّكل، ونجد كل فنان يقف ازاءها موقفا معينا, لأنّ الالتزام :" **منهج وأسلوب عمل وفق تصور معين، ويمكن القول: بأنّه تقيّد بمضمون أو شكل وهو أمر قديم قدم الفنون و الآداب** ."[2] انطلاقا من هذا القول يبدو أنّ الالتزام ليس شيئا جديدا على الآداب العالمية، قديمها وحديثها، ولا حتّى عل الّذين ينادون بنظريّة الفن للفن لالتزامهم بنوع معين له علاقة بوجهة نظرهم في الفن .
- والالتزام الحقيقي يجب أن ينبع من أعماق الفنّان، فتتماثل أقواله وأفعاله، وتتناسب حياته مع حياة مجتمعه، فيقول "محمد مصايف" في هذا الصّدد : "**هو الإيمان بالقيم والمثل العليا التي تسعى الأمة الى تحقيقها والأديب الملتزم هو الذي يعيش تجربة شعبه، ويتفاعل معه، ويعبر عن آماله ويسعى إلى تحقيق اتجاهه العقائدي الذي يعتنقه ويسير عليه** "[3]، أي أنّ الالتزام هو تقييد الأدباء والفنانون بأعمالهم الفنيّة بمبادئ وقواعد خاصة .
- كما عرف الالتزام على أنّه: " **منهج حياة، وأسلوب عمل، وقول مبني على تصوّر واضح للحياة، ونابع من العقيدة، يرتبط من خلاله الأديب بقيم وقضايا محدّدة تكون صادرة منه بكلّ صدق ووضوح؛ فالالتزام يحمل معنيين اثنين : معنى السلوك، ويرتبط السلوك بنوعيّة وجود الانسان حيث يتكون لديه موقف من هذا العالم فيحس أنّه مسؤول عن كل شيء، فيتخذ موقفا من ذلك كله، وأمّا المعنى الثاني فهو فعل التقرير ويتضمن الفعل الذي يقوم به الإنسان حيث يكون مرتبطا بشكل ذاتي، من خلال سلوكاته وممارسات نشاطاته**"[4]، أي أنّ الالتزام مرتبط بأمرين اثنين هما؛ السّلوك الذي يرتبط بوجود الإنسان والأمر الثاني هو فعل الإنسان الذي يشمل الأعمال الّتي يقوم بها.

---

[1]_محمد قطب، دراسات في النفس الانسانية، دار الشروق، بيروت، (د ط)، 1974، ص: 121 .

[2]–لخضرالعرابي، الأدب الإسلامي ماهيته و مجلاته، ص: 76.

[3]–محمد مصايف، دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص: 64.

[4]_جون بول سارتر، ما الأدب، تر محمد غنيمي هلال، دار النهضة، مصر، القاهرة، (د ط)، (د ت)،ص62 .

إذا الالتزام لا يعني فقط الارتباط بقضيّة اجتماعيّة أو سياسيّة، إنّما يتمثّل في الموقف الذي يتخذه الأديب من تلك القضايا، فلفظة الالتزام نجد في مضامينها مشاركات واعية في القضايا الإنسانيّة الكبرى السياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة ...

5-الفرق بين الالتزام والالزام :

الالتزام والالزام كلمتان كثيرا ما يقع الخلط بينهما، فالالتزام يكون عن حبّ أمّا الالزام عن كره، ولتحديد الفرق بينهما يجب الوقوف على معنى كلّ منهما .

- **الالزام :**

لغة: جاء في معجم الوسيط:" **ألزم الشّيء بته وأدامه، وفلانا الشّيء أوجبه عليه، ويقال ألزم المال والعمل والحجة، وغير ذلك، ويقال ألزمه به، وألزمت خصمي حجّته** "[1]

و منه فالإلزام هو أن يجبر الفرد على عمل دون رغبته في ذلك.

اصطلاحا :

يقول محمد بوزواوي : " **الأدب المكتوب في ظلّ الزام مفروض على الأدباء يأتي أدبا تعليميا أو أدب مناسبات** "[2]

أي أنّ الالتزام يتنافى ومبدأ الحريّة والاختيار، ففيه اكراه وجبر .

وأمّا عن مفهوم الالتزام فقد عرف في العنصر السابق.

و بناءا على ما سبق، فالفرق بين الالزام والالتزام يكمن في أنّ الأوّل يصدر الأديب أدبا اكراها، واجبارا، والثاني هو أن ينشئ الأديب أدبا عن قناعة وأمان بما يقول، فيتعرض لانتقادات أوضاع المجتمع ومصالحها ويحافظ على قيمها ومقدّساتها .

6-الالتزام في الأدب الجزائري :

[1] _ابراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص: 323.

[2] محمد بوزواوي، مصطلحات في الأدب، مؤسسة الاخوة مدنين (د ط)، 2003، ص: 13.

وقف الكاتب الجزائري إلى جانب القضايا العربيّة والقوميّة ليجسّدها منطلقا من المنظور التاريخي، بنفس المستوى الوطني والقومي لدى بعض الكتّاب العرب المساندين للثورة الجزائرية أيام اندلاعها.

"**لعلّنا نستطيع اعتبار قصص " الطاهر وطار " نماذج خاصة للمسار الالتزامي لإحساس الكاتب بالمسؤوليّة الاجتماعيّة وارتباطه بالتيار السياسي والإيديولوجي، وإذا كان الكاتب "عبد الحميد ابن هدوقة " يهتم بالقضايا الفكرية مسجلا مختلف التطورات الاجتماعية، فإن "الطاهر وطار" اختار لنفسه معالجة القضايا السياسية من خلال تجسيد الأزمات والصراعات الايديولوجية النابعة من رؤيته بهذا الواقع**[1]" ؛أي أنّ الأدباء الجزائريّين كانت لهم وقفة التزاميه نحو الوطن والقضايا العربيّة، ولهم إحساس المسؤوليّة ، حيث جسّدوا واقع المجتمع عبر مجموعة من القصص وروايات وغيرها من الأعمال الأدبيّة.

أشار الباحث ابن حلي الله الى الميل الشّخصي والمنهج الفكري الّذي تطفح به كتابات كلّ منهما : " **فالقارئ يجد في انتاج كلّ منهما موضوعات اجتماعيّة متاحة داخل موضوعات سياسيّة والعكس صحيح لكنه يستطيع أن يدرك أنّ ابن هدوقة يحبّذ الخوض في شاكل اجتماعيّة وأنّ وطار يرتاح كثيرا إلى الخوض في عالم السياسة ولكل منهما لوحاته وأصباغه ورؤية التّعبير**"[2] . كان هدف كتابات كليهما دراسة غرضين، غرض سياسي واجتماعي في آن واحد وطار الّذي يميل إلى الجانب السّياسي .

[1]_أحمد طالب، الالتزام في القضية الجزائرية القصيرة المعاصرة في (1931_1976)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر ،(د ،ط)، (د ،ت)، ص: 159 .

[2]_أنظر: ابن حلي عبد الله، القصة العربية في الشمال الافريقي، رسالة ماجيستر، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العربية 1976، ص: 216.

"كما أنّ الثّورة قد خلقت ظروفا جديدة وغيرت واقع الفرد والمجتمع معا ممّا استلزم معه أن يتوقف التّيار الرّومانسي الذي أفسح المجال للتيار الواقعي في القصّة القصيرة".
[1]فتحت الثّورة الطّريق نحو تغيير واقع الفرد والمجتمع وأظهرت ظروف جديدة تمّ من خلالها الأدب الجزائري الخروج بأعمال أدبيّة مختلفة تجسّد الأحداث التي وقعت في الثّورة وما نجم عنها من مشاكل و آفات اجتماعيّة.

والكاتب "أحمد رضا حوحو" : " **هو في الأغلب القصصي الوحيد الّذي سعى بكلّ ما يملك من قدرات أدبيّة وفنيّة بعدما أدرك خطورة الوضع الذي تعيشه المرأة الجزائريّة كتفشي الفساد الناجم عنها وحثّها على التحرر من القيود التي احكمت حقلها حولها يد المجتمع المختلف."**[2]

سعى الكاتب إلى الدّفاع عن المرأة ومساعدتها على التحرر من واقع المجتمع المتخلف عن طريق كتاباته القصصيّة .

يرى القاص الجزائري "عثمان سعدي": "**أنّ الأدب يلتزم التزامين أحدهما ازاء وطنه الصغير والآخر حيال وطنه الكبير وأمّته العربيّة** "[3].

فنجده هنا يحدد الالتزام لأنّه موقن من أنّ أي إقليم في وطننا العربي لا يمكن أن يعيش بمعزل عن الإقليم الآخر.

[1]_عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د ،ط)، 1979، ص : 191.

[2]_أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة ،ص: 48

[3]_محمد مصاريف، النقد الأدبي الحديث في المغرب اعربي، من اوائل العشرينات من هذا القرن الى أوائل السبعينات منه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، (د ت)،ص: 278.

في حين يرى أحمد طالب أنّ الأدب الملتزم الذي يسعى إلى توجيه الجماهير إلى واقع اجتماعي وأدبي أفضل[1]، وهو بهذا يركّز على هدف الالتزام في الكشف عن الواقع ومحاولة تغييره بما يتطابق مع حال الجماهير وظروفها الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة ...و غيرها

إنّ أدب الرّحلة الجزائري كغيره من الفنون الأدبيّة الجزائريّة فنجد الرّحالة الجزائريّون التزموا بقضايا وطنهم في رحلاتهم الداخليّة وقضايا قومهم في رحلاتهم الخارجيّة، وهذا ما سنقوم بالكشف عنه في بحثنا هذا عن طريق الدّراسة و التّحليل.

[1]_أحمد طالب، الالتزام في القصة الجزائرية القصيرة المعاصرة، ص: 160.

الفصل الأوّل: قضايا الالتزام في الرّحلات الجزائريّة الداخليّة الحديثة:

أوّلا–قضيّة الدّين.

ثانيا–قضيّة العلم.

ثالثا–قضيّة القيم الأخلاقيّة.

رابعا–قضيّة العمل.

خامسا–قضيّة الموروث الثقافي.

تمهيد:

إنّ دراسة الالتزام في أدب الرّحلة الجزائري يشكّل أحد الجوانب المضيئة والمشرقة في الأدب فقد حرص الرّحالة الجزائري دائما، على نقل ما شاهده من أحداث ووقائع عن طريق التّصوير الدقيق، فتصبح بذلك وثائق إنسانيّة مهمة تحمل قضايا وطنيّة، وهذه الأخيرة هي تعبير وجداني عاطفي تندرج داخل إطار العقيدة الإسلاميّة، كما يمكن أن تندرج ضمن العاطفة المعبّرة عن ولاء الإنسان لوطنه، وانتمائه إلى دولته، ومن ثمّة تعبر عن واجب الانسان نحوى وطنه وإخلاصه له.

والوطنيّة في الجزائر هي تلك الصخرة الصّماء الّتي تحطّمت عليها كلّ الأطماع الاستعماريّة الّتي توافدت على الجزائر عبر التّاريخ، رغبة في ضرب وحدة الشعب الجزائري.

ومن أبرز القضايا الوطنية الّتي التزم بها الرّحالة الجزائريون في رحلاتهم نجد:

أوّلا : قضيّة الدّين:

يكون التّفقه في الدّين بالاكتساب والجدّ و الاجتهاد، ويكون أيضا، بتوفيق من الله وهداية للإنسان لإدراك مقاصد هذا الدّين، والعلم به والفهم الدقيق له، ففيه فضل عظيم، وخير عميم، لأنّه يرجع بالآثار الحميدة على الفرد والمجتمع، ويجنّبه كلّ الآثار السّلبية .

وهذا ما سعى إليه عبد الحميد ابن باديس في رحلاته، استنادا لقوله تعالى: ﴿**ذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ**﴾ [1]، فكلما حطّ بمنطقة إلا وزار مسجدها، فقدّم دروسا في الدّين، فمثلا عند زيارة مسجد السيّد المعاوي علي بالحروش، قدّم به بعد صلاة الظهر درسا عن تكبيرة الإحرام والسلام، وبعد العصر الاهتمام بالشؤون العظيمة وتفسير آية : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك**﴾[2]

كما قدّم أيضا، في مجلس بسانطارنو باسمه تعالى الصّمد الّذي "**يجعل العبد يستشعر القوّة والعزّة، والغنى عن كلّ ما سوى الله عزّ وجل فيوقن ما معنى أنّ الله سبحانه وتعالى كاف عبده،**

[1]– القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية 55.

[2]–القرآن الكريم، سورة الشّرح، الآية 01.

فالعبد حين يشعر بالضّعف الوهن أو الفقر والأيس أو انقطاع السبب يحتاج إلى مثل هذا المعنى العظيم ليناجي به الله جلّا وعلا، فلا يلبث أن يرى الكون كلّه ملكا لما طالما أن الصمد بجانبه يسمع نجواه، ويرى مكانه"[1] .

كما قدم، أيضا، بنفس المنطقة تفسرا مختصرا لسورة الفاتحة "**كان التّذكير في مجلس عام بالسوق في اسمه تعالى الصمد وفي تفسير مختصر لسورة الفاتحة**[2]" .

فالذكر والفكر توأمان في تفتيح قلب الانسان على لآيات الله عزّ وجل، فكثرة ذكر الله تكسب القلوب صلاحا ونورا، فما أسعد قلوب الذاكرين و الذاكرات، وهي رسالة ابن باديس للشعب الجزائري، رمى بها أثناء دعوته الإصلاحية .

"**كنا في كل حفلة من هذه الحفلات نلقي ما يسر الله من الوعظ والتذكير**[3]"، وذلك للنهوض بالجماجم الجزائريّة "**فكان يرى أن القرآن الكريم فيه العقائد الحقّة، والتشريعات النافعة والأخلاق الفاضلة، وأنّ غاية التفسير والتّذكير الواحدة و الواضحة هي هداية البشر إلى الحق وتعريفهم به**"[4].

التزم ابن باديس بقضيّة التّذكير نظرا لأهميتها البالغة في حياة الفرد و الجماعة.

وردت لفظة الذّكر في القرآن الكريم في العديد من الآيات منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ**﴾[5] وقوله أيضا: ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ**﴾[6]، وقوله كذلك :

---

[1]-or.islamwag.net، 12سا و45د، 18ماي2021.

[2]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس، مج2، ص: 299

[3]- المصدر نفسه، ص: 315.

[4]-علي محمد الطلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد ابن باديس، دار ابن كثير، دمشق، (د، ط)، 2016، ج2، ص: 252.

[5]-القرآن الكريم، سورة الطور، الآية 29 .

[6]-القرآن الكريم، سورة الغاشية، الآية 21.

﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾[1]، فالتذكير جوهر رسالات جميع المرسلين عليهم السّلام، فوظيفتهم تذكير أقوامهم بالله عزّ وجلّ، ولم يكن مقصورا على خاتم الأنبياء محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ولم يتوقّف التّذكير بوفاته عليه الصّلاة والسّلام، بل ينبغي على كلّ وعظ أن يذكّر النّاس في كلّ وقت وحال ما دام التّذكير نافعا.

فنجد الرّحالة شمّر على ساعد الجدّ في الدّعوة إلى الله سبحانه وتعالى، حسب طاقته، ابرام للذمّة، وسعيا في هداية النّاس، "**ففي التّذكير علم بمبادئ الدّين الصّحيح وبكيفيّة بناء الإنسان، وحلّ قضاياه الفكريّة والعلميّة وبيان طريق سعادته في الدّنيا والآخرة**"[2].

وكانت رغبة ابن باديس من هذه المجالس تذكير شعبه بمعالم الدّين الإسلامي، ورشدهم إلى الصّواب، "**فالذّكّروا الله أيّها المؤمنون ولا تتّخذوا وسطاء بينكم وبين الله، في الآذان بالذّكر، ولا في قوله، وما أصدق قول النّاس: باب الله ما عليه بواب**"[3].

ففي مجالس الذّكر تنزل الرّحمة و تغشى السّكينة، فيصلح القلب، و "**التّذكير بآيات القرآن و الأحاديث النّبويّة، هذا هو التّذكير المشروع المتنوّع، والدّواء النّابع المجرّب، ولذلك تجد مواعظ السّلب كلّها مبنيّة عليه راجعة إليه والنّصح الله ولرسوله، وللمسلمين في لزوم ذلك والسّير عليه**"[4].

وعليه فذكر الله مسلك إيجابي فعّال، حيث يطرد الشّيطان، ويقمعه، ويرضي الله عزّ وجلّ، ويزيل الهمّ والغمّ عن القلب، ويجلب الفرح والسّرور والرّزق، ومن تفقّه في دين الله، فقد سلك طريق العلم الموصلة للجنّة، وبهذا التّفقّه يتحقّق الصّلاح والفلاح في الدّنيا والآخرة، أمّا من حرم التّفقّه في الدّين فقد حرم هذا الخير.

---

[1]-القرآن الكريم، سورة ق، الآية 54.

[2]-علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، ص: 261.

[3]-عمار الطالبي، آثار ابن باديس، ج2، مج1، ص: 316.

[4]-أبو عبد الرحمان محمود، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار الرشيد، الجزائر، ط 1، 2009، مج2، ص: 163.

إذا كانت قضيّة التّفقّه في الدّين أولى القضايا الّتي التزم بها الرّحالة الجزائريّين في رحلاتهم، وخاصّة مؤسّس جمعيّة العلماء المسلمين عبد الحميد بن باديس حيث حمل على عاتقه مهمّة تفقيه شعبه وتنويره إلى أمور دينهم وما تعلّق به.

ثانيا: قضيّة العلم :

العلم كلمة بابها واسع، لا تنحصر بالمادي من الأشياء، ولا تختصر بالمعنوي، فمعناها كبير لا يحده شيء، وهو مفتاح الحضارة، وميزان تفاضل النّاس والشعوب بين بعضها البعض، وهذا ما دعا إليه الرّحالة الجزائريون من خلال رحلاتهم.

فكان عبد الحميد بن باديس يتنقل بين أقطار الجزائر كالحروش وأم البواقي وعين البيضاء وملیانة والأصنام وغيليزان ومستغانم ووهران وغيرها من المناطق، ملقيا دروسا في العلم في مساجدها " **كان التّذكير في المسجد أثر الظهر بقفة تكبيرة الإحرام والسلام**" [1]

حيث ألقا ابن باديس في هذه المجالس اقبالا كبيرا من طرف سكان المناطق المزارة، وهذا راجع إلى مكانته في مجتمعه، فكان في هذه الحلقات كثير الحديث على العلم والحكمة، والدعوة إلى العلم والتعلم، ورفع الأمية حيث تطرق إلى شرح سورة العلق في قوله تعالى: "**اقرأ باسم ربك الّذي خلق**"[2]، وهي أوّل ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، الختامية" **كأنها تضع للإنسانية كلّها الأساس المتين لدستور حياتها على الأرض في أول سور القرآن، التي جاء موضوعها الأساسي ليؤكد أن هذه الرسالة رسالة العلم والتّعلم، وهذا الدّين الذي أنزل على النبي الأمي نزل ليمحو بها الله به أميّة الإنسان**"[3]، فقد كان هدف الرّحالة هو تنوير شعبه إلى سياسة التجهيل التي اعتمدتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في تلك الفترة، الهادفة إلى طمس الهوية الجزائرية ، فباشرت حربا شرسة على المساجد والمدارس القرآنية، إلاّ أنّ ابن باديس كان لها بالمرصاد من خلال رحلاته ومجالس الذكر، فعمل على نشر العلم، وترسيخ الهوية الجزائرية (اللّغة، والدّين الإسلامي) في أذهان الشباب،

[1]–عمار الطالبي، آثار ابن باديس، مج 2، ص :297.

[2]–القرآن الكريم، سورة العلق، الآية 01.

[3]_من الأنترنت www.alkhaleej.ae ، 13سا و57د، 25 ماي 2021.

ويبين لهم بأنّ شرف العلم وفضله لا يخفيان على عامة النّاس فضلا عن العلماء، إذ هو الذي خصّ الله به الإنسانية دون سواها من الحيوانات، وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السّلام على الملائكة، وأمرهم بالسجود له، وانّما شرف العلم لكونه وسيلة إلى التّقوى، الّتي يسهل بها المرء الكرامة عند الله والسعادة الدائمة، ذلك لأنّ العلم مع الإيمان رفعة في حياة الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: "**إنما يخشى الله من عباده العلماء إنّ الله عزيز غفور**"[1].

فمن الرّحالة الذين تحدثوا عن العلم من خلال رحلته إلى خنقة سيدي ناجي، فذكر أهم المراكز التي عملت على نشر العلم نذكر منها:

أ_ الزّوايا:

تعدّ من أهم المراكز الدينيّة التي وجدت في ثنايا معظم الرّحلات، حيث وصفوها، ووقفوا عندها، لما لها من دور في حياة الإنسان العام والخاص، وهي موروث مادي لا يزال يعيش مجتمعنا، ويلقى اهتماما بالغا، على الرغم من ظهور دور علم ذات تكنولوجيا عالية.

وإذا كانت الزّاوية في القديم تقوم بأغراض عدّة : تعليم القرآن الكريم، تقديم دروس في اللغة العربية، المحافظة على الدّين الإسلامي في عصر الجهل، محاربة المستعمر، والذي عمل في الكثير من الأحيان على القضاء على مقومات وتعاليم الدّين الإسلامي، وطمس الهوية الجزائرية، إلاّ أنّ النّهضة والتّقدم الحضاري لم يقفا حائلا على نشاطها، ولم يقللا من قيمتها.

ومن أهم الزّوايا الّتي وقف عندها، ووصفها بكل دقة فأثبتت بذلك وجودها ودورها هي: "**الزّاوية النصرانية**" و" **الزّاوية الرحمانية** "، اللّتان وقف عندها أبو القاسم سعد الله، في رحلته بل إن رحلته كانت لهذا الغرض.

[1]–القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية 28.

وهو يعترف بذلك قائلا: " **وإنّما اهتمامي الآن بالمعالم الأثرية والمراكز العلميّة لهذه المدينة الّتي عرفت ازدهارا علميا في القرن الثاني عشر للهجرة (18هـ) فإذا بها اليوم تنسحب من المسرح تماما**".[1] تعرف الخنقة بهاتين الزّاويتين النّاصرية والرّحمانية، وقد قدم أبو القاسم سعد الله في رحلته شرحا عنهما،

أمّا الزّاوية النّاصرية فنسبة إلى" **محمد بن ناصر قديمة تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري**"[2]، وكان بالزّاوية جامع كبير ومدرسة ينشطان بقوّة بغية نشر العلم، وتخليص أفراد المجتمع من الجهل والأميّة، ونشر تعاليم الدّين الإسلامي الّتي حاول المستعمر الدّوس عليها، كما قدم الرّحالة معلومات عن المدرسة المتواجدة بالزّاوية، والّتي تقدم خدمات جليلة لطلابها ودارسيها، وهنا تكمن أصالة هذه المراكز العلمية، "وكانت المدرسة التي ما تزال قائمة، تحتوي على خمس عشرة غرفة، وتضمّ كلّ غرفة من خمسة إلى عشرة طلاب(...) وقد تجوّلت في هذه المدرسة التي تعرف بالنّاصرية، وفي الجامع بين الأضرحة.

فوجدت وسط المدرسة باحة، وحولها الغرف، لسكني الطلبة في طابقين، ولها بابان (...) **ذلك أنّ الطالب كان يقرأ القرآن في المدرسة ويبيت فيها، وعندما ينضج علميا يحضر حلقات الدّرس في الجامع المجاور (جامع سيدي مبارك أو الكبير)**[3]"، **ولم تكن الزّاوية الناصرية حصنا لسكان ضفة سيدي ناجي فقط وإنّما قصدها الطّلاب من كل مكان وحتى العلماء" من الزّاب والصحراء والأوراس وقسنطينة وزواوة بل تونس وطرابلس"**[4].

وأمّا الزّاوية الثانية المتواجدة بالخنقة فهي الزاوية الرحمانية وهي حديثة إذا ما قورنت بالزاوية الناصرية: "**إذ تعود إلى القرن الثالث عشر، ومؤسسها هو الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الخنقي سنة 1208، وتسمى أيضا بالخلوتية**"[5]، وهذه الزاوية ليس بها تاريخ التأسيس إذ "**توجد لوحة خشبية**

[1]-أبو القاسم سعد الله، رحلة الى ضفة سيدي ناجي، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 259.

[2]-المصدر نفسه ، ص: 260.

[3]-أبو القاسم سعد الله، رحلة إلى خنقو سيدي ناجي، تجارب في أدب الرحلة، ص: 262.

[4]-المصدر نفسه، ص: 260-261.

[5]-المصدر نفسه، ص :260.

عند ضريح الشيخ عليها كتابات بالسمق في اتجاهات مختلفة ويبدو أن الزوار كانوا يسجلون تاريخا أو حكمة أو بيتا من الشعر أو دعاء في هذه اللوحة حتى أساؤوا إلى السطور الأصلية"[1]

ولهذه الزاوية دور كبير في الخنقة، تعلم القرآن الكريم، وتنشر العلم، هذا إلى جانب مهمته اطعام الطعام للفقراء، إلاّ أنّه بعد اندلا ع الثورة قلت مهامها فأصبحت تقتصر على العبادة فقط" **ولا شك أنّ زاوية الشيخ عبد الحفيظ قد بدأت بنشر العلم، إقراء القرآن وإطعام الطعام للفقراء شأنه في ذلك شأن معظم الزوايا في القديم، ثمّ اختفى دورها العلمي مع تقدم الاستعمار، واقتصرت وظيفتها على الأمور التعبديّة حتّى اقراء القرآن قيل لي أنّه لم يعد بها منذ اندلا ع الثورة"**[2]

وهكذا أدت الزوايا دورا فعالا في نشر رسالة العلم في الجزائر ومحاربة الجهل، والمساهمة ولو بالقليل للتصدي لأطماع المستعمر المستبد.

ب_ المساجد:

المساجد هي البقع الطّاهرة من الأرض، التي يتخذها الناس مركزا للعبادة، يتعلّمون فيها مبادئ دينهم وتعاليمه، فقد استخدم المسجد قبل دخول المدرسة كمؤسسّة تعليميّة في المجتمع الإسلامي، فكان يقتصر على تعليم العلوم الدينيّة، "**ومع احتكاك المسلمين بالحضارات القديمة، ومع الانفتاح العلمي على الثقافات المختلفة اقتحمت المساجد علوم عقليّة فرضت نفسها...كما نجد أن الدراسات اللّغوية والأدبيّة تجد طريقها إلى المسجد.**"[3]

ممّا جعل دعاة العلم في الجزائر يسعون إلى الدّعوة إلى تشييد المساجد، لأنّها محطّة للعلم والمعرفة. يقول ابن باديس حين زار مستغانم: "**الشيخ مصطفى بن حلوش قائم في مسجده بالتّعليم والارشاد للعامة بدروس ليلة وساع في تحصيل رخصة من الحكومة لتعليم الصغار**"[4]

---

[1]– المصدر السابق، ص: 262.

[2]– المرجع نفسه، ص: 263.

[3]–من الأنترنت، www.slideshare.net ،21سا و36د، 25 ماي 2021.

[4]–عمار الطالبي، آثار ابن باديس، مج2، ص: 313.

كما نجد، أيضا، الرّحالة أبو القاسم سعد الله أولى اهتماما كبيرا بالمساجد في رحلته الى خنقة سيدي ناجي، حيث نجده ذكر الكثير منها:

1_ الجامع الكبير:

ويسمّى كذلك مسجد سيدي مبارك، وهو مسجد أثري قديم يعود تأسيسه إلى القرن "**الحادي عشر (17م)**"[1]. لم تقتصر مهمّة هذا الجامع على العبادة وأداء الصلوات الخمس " **بل كان مركزا لنشر العلم حيث تتحلّق فيه حلقات الدّروس من شيوخ قال عنهم الورثلاني أنّهم اشتهروا بالنّحو والفقه والحديث لا يحبّون تدريس التّوحيد والمنطق، وطالما تبادل هؤلاء الشّيوخ الرّسائل والأجوبة في مختلف قضايا العلم**" [2]. فوظيفة الجامع كما ذكر لم تقتصر على العبادة، بل تحوّلت إلى حلقات ومجالس يقدّم فيها دروس عن العلم ، وتُجرى فيها مناظرات بين " **علماء قسنطينة وتونس**".[3]

2_ مسجد السّوق:

مسجد أثري بخنقة سيدي ناجي، يقصده أهل المنطقة لأداء الصلوات الخمس،" **وقد بني حسب التواتر خلال القرن الثاني عشر**".[4]

3_مسجد زاوية الشّيخ عبد الحفيظ الخنقي:

يحمل هذا المسجد اسم الشّيخ المؤسس للزاوية " **على الطريقة الرحمانية في القرن الثالث عشر (19) ، وهذا المسجد له مكانة كبيرة، فهو معلم ديني علمي أثّري تعرض للاندثار، فقد رمم**

[1]-أبو القاسم سعد الله، (رحلة الى خنقة سيدي ناجي)، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 260.

[2]- المصدر نفسه، ص: 261.

[3]-المصدر نفسه، ص ن .

[4]-المصدر نفسه، ص: 160.

من قبل المهتمين " وقد جدد المسجد أخيرا فقط سنة 1979م السيد رشيد حفيد الشيخ عبد الحفيظ".[1]

قدّم أبو القاسم سعد الله من خلال رحلته إلى الخنقة معلومات تاريخية جدّ مهمة عبر هذه المراكز الدينيّة كسنة البناء، وسنة التجديد... بالإضافة إلى جانب تقديم الدور الذي تقوم به، كما قدم سبب التسمية، والتي غالبا ما كانت تستمد من أسماء أعلام، وأسماء قبائل قديمة ومن هذه المساجد:

[1]-المصدر السابق، ص: 260.

- **مسجد كرزدة:**

"كرزدة اسم قبيلة من القبائل القديمة، وهذا المسجد قد اندثر قام الفرنسيون بهدمه والقضاء عليه سنة 1957، وبنوا فوقه وسكنوا البناء الجديد ثم غادروه بدون أن يبقى أثر المسجد"[1]، وهذه الأعمال ليست بغريبة، لأنّ المستعمر كان هدفه دائما المساس بالهويّة الوطنيّة، إلاّ أنّ هذه المراكز الدينية العلمية بقيت تؤدي دورا هاما في حياة المجتمع.

- **مسجد سدراتة:**

نسبة إلى اسم قبيلة تدعى سدراتة، بُني في عهد الدّولة العثمانية أي" **قبل دخول الفرنسيين، وتقام فيه الصلوات الخمس بطريقة غير منتظمة وهو مسجد الذي قرأ فيه الشيخ أحمد زروق بامكي المذكورة قبل ذهابه إلى خنشلة"** [2]

بعد أن وقفنا عند بعض المعالم الدينيّة التي وصفها أبو القاسم سعد الله من مساجد وجوامع وزوايا، سنشير إلى الفرق الذي أورده بين هذه المعالم حيث يقول: **" والتّداخل ليس في الاسم فقط بل في الوظيفة أيضا، فالجوامع والمساجد كانت للعبادة والتّعليم كما أنّ الزوايا كذلك أحيانا، ولكن هذه في الغالب كانت رابطا أو ملجأ أو مسكنا للطّلبة والغرباء، ومركزا لتلقين الأذكار واستقبال المريدين، كما أنّ حجم هذه المؤسّسات له دخل في تحديد وظائفها، فالجامع اصطلاحا أكبر حجما من المسجد فهو الذي تؤدي فيه الصّلاة الجامعة أو الجمعة والعيدين(...) ثمّ أنّ الجوامع والمساجد في الغالب غير منسوبة إلى الأولياء والصّلحاء، بل منسوبة إلى مؤسّسها (...) بينما الزّوايا تنسب إلى الزّوايا غالبا إلى ولي من الأولياء".**[3]

[1]-أبو القاسم سعد الله، (رحلة إلى خنقة بسيدي ناجي)، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 260.

[2]-المصدر نفسه، ص: 260.

[3]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغري الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص: 245.

وأمّا عن طلب العلم إبّان الاستعمار الفرنسي، فكان التّلاميذ يعتمدون في الكتابة على اللّوح الحجري، ويكتب فيها بواسطة الصّماغ الّذي كان يصنعه من دهن الخرفان فيقول مالك بن نبي في مذكّراته قسم الطّفل: " **كنت كباقي التّلاميذ أغسل كلّ صباح لوحي الحجري في البركة ماء صغير ...بذلك الحبر الذي نكتب فيه وهو صماغ**".[1]

وأخيرا، مهما اختلفت وسائل العلم وأماكن التّدريس باختلاف الأزمنة، والأمكنة، إلاّ أنّه يبقى ذلك المصباح الوّهاج الذي ينير درب صاحبه، ويمكّنه من مواجهة ظروف الحياة، فالعلم هو رأس المال الذي لا يفنى.

إذا حظي العلم باهتمام جلّ الرّحالة، فكانت أعينهم راصدة لأوضاعه في مختلف المدن والقرى التي زاروها، فالتزموا بالحديث عنه، وكيفيّة تلقينه، والوسائل المساعدة على ذلك.

ثالثا: قضيّة القيم الأخلاقيّة:

القيم الأخلاقيّة هي المبادئ والمعايير، الّتي توجّه الفرد، وتضبط سلوكه في الحياة، ويتجدّد بموجبها مدى فعاليّته في المجتمع، وبها تتقدّم الأمم، وتسير إلى العلى، وتصنع المحال من المستحيل.

والفرد الجزائري كغيره تحكمه قيم ومبادئ أخلاقيّة ضاربة في جذور تاريخيه، توارثها عن أبيه وجدّه، وهذا ما نقله بعض الرّحالة الجزائريين في رحلاتهم الداخليّة، فنجد أنّ مالك بن نبي في مذكّراته يتناول بعض القيم النّبيلة كقول الحقّ في قوله: " **الرّجل يرفض غالبا أن يحلف ولو كان لدعم حقّه واضح**"،[2] فيروي قصّة تخدم هذا المقام فيقول:" **أن راع أودع قطيعه المؤلّف من خمسة مئة أو ستة مئة جمل إلى من يرعاه، ثم افتقد الراعي ذلك المؤتمن، ولم يعد يراه، ويئس من رؤية ثانية، وبعد مضي عامين فجأة قطيعه في مضرب الخيام، وقد بلغ الضّعفين: ذلك أنّ الذي أخذ القطيع ليرعاه تاه في الصّحراء بحثا عن المرعى والكلأ، وقاده ذلك إلى حدود السودان، ومدّة الذهاب والعودة التي حكمتها مسيرة القطيع بما يحفظ عليه صحته وانتاجه، غير ما جاءت به**

[1]-مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص: 24.

[2]-المصدر نفسه، ص: 176.

أثداء الّنوق من لبن لغذائه"[1]، تؤكّد هذه القصة التي وقعت بها هذه الأحداث عن تمسك سكان منطقة آفلو بالأمانة ولو طال الزمان وبعدت المسافة.

ومن بين المعاملات الفاضلة التي نقلها مالك بن نبي عن المجتمع الجزائري، أيضا، الاحترام والتقدير الذي يَكله الصغير إلى الكبير فلا يناديه باسمه بل يقول له: **""سي فلان" أي "السيد فلان"، وهو الأمر الذي نجده في مذكّرته عند رجوعه من رحلته الى بيته يتوافد الصبيان إلى البيت، وهم يقولون "سي صديق جاء".**[2]

كما نجد، أيضا، الرّحالة عبد الحميد ابن باديس وصف شهامة وكرم وعلم وأخلاق سكان المناطق التي زارها فيقول: **" فما شئت من علم وأخلاق وفصاحة واطلاع على شؤون الوقت والعدالة ونزاهة"**[3]، وكذلك رغبتهم في التّعلم، وذلك من خلال قوله: "**بلدة الأصنام، بلدة تجارية وفي أهلها ذكاء وفهم وقبول للتعليم"**[4]، وحسن الضيافة التي تبنى عن الكرم والجود، فيقول: " **كنا إذا حللنا بلدة فيها إخواننا المزابيين يهرعون إلينا مثل بقيّة اخوانهم من أهل البلدة وفي بعض البلدان تسبق ضيافتهم ضيافة غيرهم"**[5].

كما حثّ الرّحالة في المجالس على المحبة والأخوة الحسنة من خلال التآخي والتآزر وحسن الجوار والمعاملة الحسنة، في قوله :" **تنبيه على مصالح الدنيا والآخرة والتحريض على التآخي والتآزر وحسن الجوار والمعاملة مع جميع الأجناس المتماسكة في هذا الوطن"** [6]ليعم الخير والمنفعة بينهم .

---

[1]-المصدر السابق، ص: 176.177.

[2]-المصدر نفسه، ص: 287.

[3]-عمار الطالبي، آثار ابن باديس، مج2، ص: 309.

[4]-المصدر نفسه، ص: 310.

[5]-المصدر نفسه، ص: 320.

[6]-المصدر نفسه ، ص: 380.

ومن هنا يتضح أنّ الرحالة عرّفوا بالشّعب الجزائري، بأنّه خلوق نزيه، كريم يرغب في التّعلم والعلم على الرغم من ظروفه الصعبة على جميع الأصعدة، إلا أنّه صامد أمام المستعمر، ما يحفّز ويدفع الشّعوب العربيّة الأخرى بمساندته ودعم قضيّته، لأنّ كل من المحطات تنشر في جرائد جمعية العلماء المسلمين.

كما نجدهم، أيضا، التزموا بطرح قيم التّعاون والاتحاد بين أفراد المجتمع الجزائري، لأنّ الله عزّ وجل خلقنا ضعفاء محتاجين لمن هم بجانبنا يساندوننا ويساعدوننا على متاعب الحياة، ولهذا فالاتحاد والتعاون من القيم الانسانيّة الحضاريّة التي يتحلى بها العبد المؤمن والتي بدورها تساهم في بناء مجتمعات متماسكة، وهو هدف الرّحالة لأنّها من القضايا المهمة التي لابد أن تطرح في المجالس لحاجة الشعوب لها، وخاصة الشعب الجزائري إبّان الاستعمار، لمواجهته بكتلة واحدة الصوت والأخلاق، والمطالب والمذاهب، لا تقهر أمام العدو، بل تصد بطشه وتوقف جرمه.

كان عبد الحميد ابن باديس يسعى إلى اجتماع أفراد المجتمع الجزائري، على المصالح المشتركة فيما بينهم، في قوله:" **الحث على التعلم والاتحاد والتنوية**" [1]، على أن يكونوا يد واحدة ضد المعوقات الفرديّة والجماعيّة أيضا، التي قد تواجههم لدفع الضرر عن أرض الجزائر، ولا يكون للنصر والاستقلال طعم إن لم يؤكل بملعقة المشاركة والتعاون.

إنّ مظاهر الحبّ والاخلاص والوطنيّة والتّضامن سائرة في عروق كلّ جزائري، فيقدّم حياة العامة على حياته الخاصة "**فالشّعب كان يعمل بنفسه على تأسيس نواديه وبناء المساجد والمدارس**"[2]، لأنّ في الاتحاد والتعاون قوّة للضعفاء، لقوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّه بعضه بعضاً"[3].

[1]-عمار الطالب، آثار ابن باديس، مج2، ص:.303

[2]-مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص:169.

[3]-أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن الكثير، دمشق، ط1، 2002، ص: 463.

رابعا: قضيّة العمل :

العمل هو العمود الفقري للحياة الكريمة، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ليعمل في الأرض ويكون خليفة فيها، ويقوم بإعمارها حتى تدق الساعة، ولم يقلّل الدّين من شأن أي مهنة.

ومن بين الرّحالة الذين تناولوا قضية العمل في رحلاتهم، عبد الحميد بن باديس حيث التزم في رحلاته بقضايا مجتمعه، فتطرق إلى العيش الكريم الذي لا يتحقق إلاّ بالعمل الجاد، فلا تسير حياة الإنسان إلاّ به.

فهو من أهمّ الأشياء التي يمارسها الشخص في حياته اليومية، و"**العمل في حدوده الانسانية جهد إرادي واع تأملي، وأنّ الفارق الأساسي بين الإنسان والحيوان هو في الواقع أنّ الانسان يعرف كيف يتصور مخططا وينفذ عوضا عن تسوده غرائزه**" [1]؛ أي أنّ العمل هو الذي يفرق بين الإنسان الذي أكرمه بالعقل والحيوان، لذا أعلى الدّين الإسلامي شأن العمل وجعله من العبادات، ولكي ننجح في حياتنا العملية لابد أن نعمل بجدّ وإخلاص واتقان لقوله تعالى: "**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فَيُنَبِّئُكُم بما كنتم تعلمون**"[2].

حثّ الرّحالة على العمل ووجوب اتقانه، ودعا إلى بذل الجهد لتحصيل الرزق، ورفع الغبن على مجتمعه والعيش الكريم، فذلك من خلال قوله: "**رفع الأميّة والجد في أساليب الحياة من فلاحة وتجارة وصناعة**"[3].

حفّز الشعب الجزائري على التعلم ورفع الأميّة، والاستعفاف والعمل في شتى المجالات من فلاحة وصناعة وتجارة لمواجهة الاستعمار الفرنسي المتسلط في شتى مجالات الحياة، والمحاصر للجزائر من كل الحدود والجهات، وحقدا حتى يقع الجزائريون تحت رحمته.

---

[1]-هنري أرفون، تر: عادل العلوا، فلسفة العمل، عويدات، بيروت، (د، ت)، ط2، ص: 56.

[2]-القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 105.

[3]-عمار الطالبي، آثار ابن باديس،مج2،ص: 297.

وعليه فلا يمكن مواكبة العالم، إلاّ بالعمل، لا بالتأمل فاليد هي الذراع اليمنى للعقل، لقوله صلّى الله عليه وسلّم:" **اليد العليا خير من اليد السّفلى**". [1]

خامسا: قضيّة الموروث الثّقافي:

يعدّ الموروث الثّقافي كنز الأمّة، به تفرض وجودها، وتثبّت ذاتها وخصوصيّتها، وتحقّق طموحاتها، لذلك فإنّ أغلب الأمم والشّعوب سعت دوما للحفاظ عليه والتّشبث به، ومحاولة إحيائه، وبعثه من جديد. تتمتّع الجزائر كغيرها من دول العالم بموروث ثقافي معترف بتنوّعه وغناه على المستوى العالمي، وسنتعرّف على هذا الموروث من خلال المظاهر الّتي تطرّق إليها الرّحالة:

أ_ العادات والتّقاليد:

كان للعادات والتّقاليد النّصيب الأوفر في معظم الرّحلات الّتي وقفنا عندها سواء ما تعلّق منها بالأفراد أو المعاملات والعلاقات العامّة بين أفراد المجتمع، فمالك بن نبي من خلال رحلته إلى تبسّة وقسنطينة وآفلو وقف عند العديد من مظاهر الحياة الاجتماعيّة الّتي تزال بعض المناطق متمسّكة بها.

ومن تقاليد مجتمع "تبسّة" الّتي تحدث والّتي تعبّر عن انتمائه وثقافته وتمسّكه بأصوله، وهذا ما تجسّد في قوله: "**فالسّكان هنا لم يتخلّوا عن فضائلهم وتقاليدهم، فلا يزال طعامهم الشّائع الكسكسي والفطائر وشرابهم الماء القرّاح**"[2]، يدلّ هذا على أنّ المجتمع التبسّي لا يزال محافظا على تقاليده. وطبق الكسكسي المقدّم للضّيف ليس من عادات سكّان تبسّة فقط وإنّما هي عادة منتشرة في جلّ القطر الجزائري، فعند زيارته لمنطقة "آفلو"، وهو الشّيء الّذي بقي في ذهنه وأعجب به، إذ يقول: "**والشّيء الوحيد الّذي بدا لي مستغربا من العيشة الأولى في آفلو هو (الكسكسي) الّذي قدّم إلينا عند القاضي الّذي كنت ضيفه**"[3].

[1]-أبي عبد الله اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 348.

[2]-مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص: 21.

[3]-المصدر نفسه، ص: 171.

يعدّ طبق الكسكسي من الأكلات التّقليديّة والوجبات الرّئيسيّة والمعروفة عند الجزائريّين منذ القدم، وهو لا يغيب عن المائدة الجزائريّة خاصّة عند حلول الصّيف لأنّه يرمز للأصالة، ومن عادات الجزائريّين أنّه يقدّم في صحن كبير، يلتمّ حوله كلّ الأفراد حتّى يشيع التّلاحم والتّآلف بينهم، وكما أنّه يعبّر عن معاني الاتّحاد والمساوات والتّضامن الاجتماعي بين أفراد الأسرة.

ومن عادات مجتمع "آفلو" كذلك استقبالهم للضّيف بصدر رحب، ويميّزونه عن أفراد الأسرة.

أجواء التّرحاب والضّيافة هذه لقيها من قبل أحد قضاة الجزائر بمنطقة "آفلو" خلال الفترة الاستعماريّة، إذ "**بقي القاضي خلال المأدبة بعيدا عن ضيوفه ،إنّه يأكل عندما ينتهون من الإناء نفسه**"[1]، فهذه سمة الضيافة سرت في دم هؤلاء الجماعة عبر الأجيال.

كذلك من تقاليد هذه المنطقة القديمة أنّه وجب على الضيف أن يخبر مضيفه بقدومه قبل ذهابه عنده فيقول: "**وقبل مغيب الشمس كانت التقاليد تقضي بأن نخبر مضيفنا بقدومنا إليها للمبيت ليلا...مضيفنا الذي أخبر بقدومنا يبادر بصفة عامة لترتيب أمر طعامنا، ثمّ يخف لملاقاتنا في ظاهر الدوار وقد فرش أجمل بساط لديه أمام منزله أو كوخه** "[2]، هذه العادة من أدب تقاليد سكان آفلو، التي يسير عليها المجتمع الأغواطي.

ومن الصفات التي تميّز بها سكان آفلو فرحهم الشديد بالضيف حيث كانوا يقدمون طبقا متميزا تعبيرا عن فرحهم واهتمامهم به، يقول الرّحالة: "**فأمام كلّ مدعو حيث توجد ملعقته التي يغترف بها من الإناء المشترك، وضع طبق فيه من الزّبد الطازج الممزوج بالعسل، والطبق الذي كان أمامي قد اختص بقدر كبير**"[3].

إنّ هذه المواقف الحية التي نقلها الرحالة من منطقة آفلو هي جزء من حياة المجتمع الجزائري في الجنوب الجزائري، فحسن الاستقبال والحفاوة متجلية بوضوح من خلال ما وصفه الرحالة من عادات وتقاليد راسخة ومحفورة في الذاكرة الشعبيّة، يحسها الفرد كأنّها فرض عليه، فالضيف إذا حل عليهم يخصصون

[1]-المصدر السابق، ص: 172.

[2]-المصدر نفسه، ص: 165.

[3]-مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص: 172.

غرفة لوحده، ويحظى بالغذاء والفراش كأنّه في منزله، بل إنّ من يقصد آفلو فإنه لا يبحث عن فندق فأيّ شخص بإمكانه

أن يستضيف في منزله ويعتني به، وهذه مسؤولية الشخص، وإنما هي مسؤولية الجميع، وهذا ماعبر عنه الرحالة قائلا: " **ومنذ الليلة الأولى في آفلو اتخذت جانبا فارغا من المحكمة غرفة للنوم فيها مددت فراشي، وفي يومي الثاني أصبحت بالتتابع ضيف سائر أعضاء المحكمة وبعض وجهاء المركز، وحين انتهت قائمة الدعوات، كان السي "عمر" الابن الأبّر يأتي إلى المحكمة ليأخذني ظهرا**"[1].

كما أن قص الحكايات كان حاضرا عند مالك، فقد كانت تقصها عليه (جدته لأمه) التي عدت من الشخصيات التي لها دور تربوي عظيم في نفسه، وهي إمرأة صالحة أخذت بيده طفلا في عالم الخير والمبادئ الإسلامية بما يتناسب ادراكه و بما يتفق في تربيته الصالحة وقد أدّت دور المربي الأول الذي صاغ رؤياه الأولية نحو الحياة فيقول:"**هذه المرأة كانت بارعة في قص الحكتيات، إذ كانت تشدنا إليها ونحن متحلقون حولها كانت هذه مدرستي الأولى، فيها تكونت مداركي. فقد ثلاثين سنة من هذا التاريخ بينما كنت طالبا في باريس** (...) **وكان على كل منا أن يجيب على السؤال التالي: ما هو أهم حدث في حياتك ولمن تنسبه؟ لقد أحيا هذا السؤال في نفسي ذكريات قديمة** "[2].

من خلال قوله هذا نستطيع أن ندرك دور وفاعلية قص الحكايات التي كان لها قيمة كبيرة في حياته وهذا بفضل تلك العادة المعتادة من طرف الجدة.

لاحظ مالك بن نبي أن سكان منطقة آفلو في معظمهم يرتدون البرنوس والقندورة، كمت لايزتلون يضعون العمائم، وهذا النوع من اللباس يغلب على سكان الصحراء خاصة.

[1]-المصدر السابق، ص: 173.

[2]-المصدر نفسه، ص: 16.

" **ان القاضي شيخا تلفه مسحة من الجمال، وجه مستدير يعتمر بعمامة من (الأغباني)** (...) **أنيق الملبس، في برنسه نوع من النسيج الدقيق الناعم فوق قندورة من الجنس نفسه**"[1].

كما أشار أبو القاسم سعد الله إلى اللباس التقليدي الذي يرتديه كثير من أهل المنطقة خنقة سيدي ناجي والذين يزالون متمسكون.

يتمثل هذا اللباس في البرنس والقشابية وهذا ما لفت انتباه الرّحالة. " **النّاس في زيهم المحلي (البرنس أو القشابية) يختلفون**"[2].

يمثّل هذا اللباس التقليدي القشابية، القندورة، العمامة... أصالة تلك المناطق وعراقة تراثها، لأن اللباس يعبر من خلاله على ثقافة الموروث وانتمائه له.

نقلت الينا الرّحلات الجزائرية العديد من الأعمال التي كان ولازال المجتمع الجزائري يمارسها، مثل: زراعة وتربية المواشي وهي من الموروثات التي مارسها أجدادنا منذ القدم، ولازالت العديد من المجتمعات الريفية فمالك بن نبي في رحلته لاحظ أن الحياة في آفلو لاتخرج عن تربية المواشي، فهي المصدر الأول لمعيشتهم، منها يستمدون قوت أولادهم. ومثّل لذلك برجل " **يدعى (أبّا abba) يمتلك حوالي ثلاثين ألف رأس من الغنم، أما نصيبه من الإبل فكان لا يقل عن ألف وله عدد مماثل من الخيول والبقر**"[3]، إذا ممارسة مجتمع آفلو راجع إلى طبيعة حياتهم اليدوية.

ب– المعتقدات:

لازال المجتمع الجزائري متمسكا بالعديد من المعتقدات كالخضوع لبعض المرابطين، والإيمان ببعض الخرافات... وهذه المظاهر شاهدها المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات خلال الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال، وتجلى ذلك بصورة واضحة في رحلة مالك بن نبي إلى منطقة آفلو فقد

[1]–المصدر السابق، ص: 182.

[2]–أبو القاسم سعد الله، (رحلة إلى خنقة سيدي ناجي)، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 258.

[3]–مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص: 175.

كان المرابطون يقصدون آفلو كل سنة ليحظو باستقبال حاشد وغفير ومن هذه المواكب القادرية يترأسه الشيخ "**يلبس الثياب الخضراء من رأسه إلى قدميه، إنّها ثياب أهل الجنة**"[1].

وأيضا من المعتقدات البارزة التي تنبه إليها مالك بما يتعلق بخرافة الورق المكتوب والسحر... ونجده في قوله:" والجزائر بقابليتها للاستعمار وبالاستعمار كان لديها اعتقاد بخرافة الورقة المكتوبة وقيمتها السحرية لا تمارسها فقط في النساء العجائز اللواتي يضعن لأطفالهن (حروزا) يقيهم بها من العين الشريرة، بل إنها تمارس فيه حجة لا جواب عليها في المناقشات"[2]، وهذه المعتقدات باطلة.

ومن كثرة تعلق سكان آفلو بالمرابطين ذهب بهم الأمر إلى تقبيل ركبتهم والسجود لهم، وهذا ما حصل لمالك بن نبي حين توهم للسكان بأنه من المرابطين وذلك من خلال الثياب التي كان يرتديها والتي تشبه ثياب المرابط: " **وأنّ نفسي كدت أن أعامل بوصفي شيخا مرابطيا في منطقة آفلو، ففي يومي أثناء جولتنا جاء رجل من أبناء البلاد (indijene) ليقبّل ركبتي، ربما كان ذلك بسبب هندامي الفريد الذي ميّزني بسلطة ما في عينيه**"[3].

ويذكر أبو القاسم سعد الله كذلك في رحلته عند انتقاله إلى إلى خنقة سيدي ناجي أنّ المعتقدات الشعبية القديمة لاتزال تقوم بوظيفتها في هذا المجتمع. حيث كان الزوّار يقصدون الزاويات ويأخذون منها شيئا للتّبرك، معتقدين أنّ هذه الأشياء تجلب لهم الرزق أو البركة والخير، في مقابل ذلك تدفع عنهم الشرّ.

لاحظ الرّحالة أبو القاسم سعد الله في رحلته إلى خنقة سيدي ناجي أنّه كان بزاوية الشيخ عبد الحفيظ "سبحة" بها حبات كان الزوّار يأخذون منها حبّات للتّبرك حتّى نقص حجمها وقلّ وذلك ما جاء في قوله: " **وضريح الشيخ عبد الحفيظ (...) عليه سبحة ضخمة ذات حبات بنية اللون**

[1]-المصدر السابق، ص ن.

[2]-المصدر نفسه، ص: 107.106.

[3]-المصدر نفسه، ص: 182.

الواحدة منها في حجم حبات الكرز. وقد قيل لي أنّه كان بها ألف حبّة، غير أنّ الزوّار أخذوا منها للتبرك فتناقصت "[1].

كان في اعتقاد هؤلاء الناس أنّ الأولياء الصالحين لهم قدرة خارقة في بعض الأفعال وأنّ هذه الأفعال تبقى حتّى بعد وفاتهم، ولهذا يبقى الضريح ملجأ للزوار.

ج- الموروث:

تحتضن الجزائر على تراث ثقافي أهلها لأن تكون منطقة سياحية يقصدها الزوار للتعرف على مآثرها وموروثاتها، فهي تتكىء على العديد من عناصر الجذب السياحي كالمواقع الأثرية والتاريخية المهمة المنتشرة على كافة رقعتها. ومثال ذلك خنقة سيدي ناجي التي زارها الرّحالة أبو القاسم سعد الله، والتي سنتعرف على أهم ما جاء فيها من موروثات.

كان أبا القاسم سعد الله يأمل من رحلته هذه وصل ماضي المنطقة بحاضرها والاطلاع على ما بقي بها من آثار عريقة تشهد بأصالة قرية سيدي ناجي، كيف لا وخنقة سيدي ناجي كانت موضوع حديث العديد من الرّحالين كما شغلت العديد من أقلام الدّارسين قديما وفي الوقت الحاضر. ويؤكد الرّحالة ذلك مشيرا إلى أنّ: **"كلّ من قرأ ما كتبه الرّحالون والدّارسون عن خنقة سيدي ناجي قبل الاحتلال الفرنسي تحنّ نفسه إلى رؤيتها اليوم للاطلاع على ما بقي من آثارها وأنّ من هؤلاء. فقد شغلت مآثر الخنقة القديمة حيزا طيبا من كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي) خلال العهد العثماني. وكنت قد قرأت ما كتبه عنها عبد الله العياشي المغربي، والحسين الورثلاني، وخليفة بن حسن وغيرهم"**[2].

ومن الأماكن التي زارها بهذه المنطقة ولاحظ فيها من نقوش قديمة موجودة بالزاوية النّاصرية، حيث استطاعت أن تحفظ العديد من المعلومات عنها، فقباب المدرسة عرفت نقوشا متعددة.

[1]-أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 262-263

[2]-المصدر نفسه، ص: 259.

وهذه النقوش حملت تواريخ نسيها أصحاب المنطقة، من ذلك تلك النقوش الّتي وجدت في المدرسة: " **بنيت على يد أحمد بن ناصر في شهر رجب 1171 والغالب على الضن أن هذا التاريخ هو تاريخ التّجديد وليس تاريخ البناء الأصلي**"[1]، وإلى جانب هذه النقوش الكتابية هناك نقوش على الرخام حملت تراث أصيل بعينه عبّر عنه الرحالة بطريقته الخاصة " **وتوجد نقوش رائعة الجمال على الرّخام المحاط بالباب الخارجي للمدرسة التي تحتاج إلى التّصوير والحفظ في أحد المتاحف لأنّها على وشك الضياع**"[2].

إنّ هذه النّقوش لها قيمة كبيرة، فبفضلها حفظت لنا تواريخ جدّ مهمة كما أنّها نقلت معلومات لا يستطيع أن يستغني عنها المؤلف.

وممّا كان منقوشا على محراب الجامع تلك المعلومات التاريخيّة التي تقوم: " **أنّ باني الجامع هو محمد بن محمد الطيب أواسط شهر صفر سنة 1147**"[3].

إنّ وظيفة هذه النقوش لم تتوقف على إبراز جمال هذه المعالم الأثريّة وإنّما أفادت العديد من المؤرخين. فهي سجل المعلومات التاريخيّة: تاريخ البناء، اسم البناء، معلومات عن الأولياء... وممّا ذكره الرّحالة أبو القاسم سعد الله على ضريح سيدي مبارك قوله: " **أمّا على ضريح سيدي مبارك نفسه فقد وجدت مكتوبا عليه أنّ علي ابن حسين باي قد أودع فيها شهادة أنّ لا إله إلاّ الله ... وقد قرأت في مقبرة ولاد حسين أنّ أحمد البدوي بن حسين توفي سنة 1352 (1934)** "[4]. إنّ هذه النقوش الكتابية ذات قيمة كبيرة تاريخيّة وثقافيّة تستدعي ضرورة الالتفات إليها وحفظها قدر المستطاع لأنّها الدّليل المادي الّذي نعتمد عليه في تاريخ أيّ بناء أثري.

وإذا انتقلنا إلى التّراث اللّهجي الّذي يعدّ أساس موروثنا نجد الرّحالة مالك بن نبي يعرفنا بلهجة تلك المنطقة التي زارها شارحا بعض ألفاظها، ففي رحلته إلى آفلو، وهي منطقة " **في**

[1]-المصدر السابق، ص: 261.

[2]-المصدر نفسه، ص ن.

[3]-المصدر نفسه، ص: 262.

[4]-المصدر نفسه، ص ن.

الجنوب الوهراني غير بعيدة عن الأغواط"[1]، نجده يذكر لنا بعض لهجاتها منها لفظة (واه)، هذه اللفظة معروفة لدى سكان وهران فهم " **يقولون (واه) إذا أرادوا أن يقولو(نعم)**"[2]، وهذه اللّهجة الوهرانية بدت للرّحالة غريبة نوعا ما في البداية، إذ أحسّ أنّ فيها شيئا من اللغة البربريّة فيقول: " **فهذه ال(واه) بدت لي غريبة كأنّ فيها شيئا من اللغة (البربريّة)، وغرابتها تشبه غرابة من يقول في فرنسا القرن العاشر (oe) لرجل يقول (oil)** "[3]؛ غير أنّ هذا الشعور كان غير طبيعي بالنسبة للرّحالة في أوّل مرّة انتقل فيها إلاّ أنّه سرعان ما ألف المكان والسكان ، واعتاد هذا الأمر.

ثمّ قارن هذا الشعور بين اللهجة الوهرانيّة واللهجة القسنطينيّة من خلال كلمة **(نعم)** فإذا كان الوهرانيون يقولون **(واه)** والّتي هي بمعنى **(نعم)** " **في قسنطينة تقول (هيه) أو (نعم) حسب درجة الثّقافة** "[4].

ومنه فالموروث الثقافي لديه كوكبة من الأهميّة الّتي تتجلى في أجمل الصور وأبهاها وما فيها، حيث تكمن أهميته في المقام الأوّل بأنّه هو الّذي يعطي لشعب من الشعوب هويته الخاصة الّتي تميّزه عن الشّعوب الأخرى، والّتي بدورها تضع هذا الشعب في مصاف الشّعوب التاريخيّة الّتي لها تاريخ عريق تحتفي به، والأجمل أن يكون هذا التّاريخ العريق قد ساهم في تطوير الشعوب الأخرى ولازال، ولاننثني عن الاعتراف أنّ أهميّة التّراث هي مساهمته الكبيرة في تراكم المعرفة خاصة ما ورث من العلوم، فهذا الإرث هو إرث عظيم ليس لشعب من الشعوب فقط بل الإنسانيّة جمعاء. أيضا فإنّ التّراث هو المحدّد الأوّل والأخير لثقافة شعب من الشعوب.

[1]-مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص: 170-171.

[2]-المصدر نفسه، ص: 171.

[3]-المصدر نفسه، ص ن.

[4]-المصدر نفسه، ص ن.

الفصل الثاني: قضايا الالتزام في الرّحلة الجزائريّة الحديثة الخارجيّة:

أوّلا-قضيّة العلم.

ثانيا-قضيّة الدين.

ثالثا-القضيّة الجزائرية ابّان الاستعمار.

رابعا-قضيّة الاغتراب.

خامسا-القضيّة الفلسطينيّة .

سادسا-قضيّة الموروث الثقافي.

تمهيد:

إنّ الرّحالة الجزائريّون كعبد الحميد بن باديس وأبو القاسم سعد الله والطّيب المهاجي والبشير الإبراهيمي، ذوو الضّمير الحيّ لم يستغلّوا أحلامهم في التّجوال والاستجمام، بل كانت رحلاتهم دينيّة وفكريّة علميّة بدوافع وأفكار مضبوطة، فالتزموا فيها بقضايا وطنهم وقومهم وهذا يرجع على العلاقة الوطيدة بينهم وبين قومهم.

فسعوا إلى طرح قضاياهم ونقلها للشّعوب الأخرى، كما حاولوا ايجاد حلول إن استطاعوا ذلك، وهذا ما سنكشف عنه خلال دراستنا للرّحلات الخارجيّة في هذا الفصل.

أوّلا–قضيّة العلم:

يعّد التّعلم من أهم الأسس الّتي تقوم عليها الحياة فالحياة تعلّم والتّعلم حياة إذ أنّ الانسان لا يمكنه العيش ومواجهة صعوبات الحياة ومقتضياتها إلّا بالتّعلم الدّائم، ولهذا فالتّعلم عملية مستمرّة باستمرار الحياة، ولكن هذا الأخير لا يأتي من عدم بل لا بد من مصدر تستمدّ منه المعرفة ألا وهو التّعلم.

إنّ أيّ رحّالة مهما كانت صفته، أو وجهته أو غرضه، فهو بحاجة ماسّة إلى زاد يعينه على تحمّل مشاق السّفر الجسميّة والروحيّة والعقليّة وغيرها، فكان خير زاد الإبراهيمي العلم الّذي انطلق به وسار وساير به كلّ الشّخوص الّذين التقى بهم في رحلته من علماء وتلامذة وشخصيات سياسيّة ورؤساء ووزراء وغيرهم. يحدثنا عن القراءة من خلال ملازمته للعلماء والمشايخ بقوله: "**ثمّ ألقيت الرّحال بالمدينة حيث استقرّ والدي، وعكفت على القراءة والاقراء، فكنت ألقي عدّة دروس متطوعا وأتلقى دروساً في التّفسير والحديث... وكنت أغشي ثلاث مكتبات جامعيّة غنيّة بعشرات الآلاف من المخطوطات النّادرة: مكتبة شيخ الإسلام ومكتبة السّلطان محمود ومكتبة شيخنا الشيخ الوزير التونسي مع مكتبات أخرى شخصية، فبلغت منها غايتي حفظا وإطّلاعا...**[1] "

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص:18.

ثمّ يتحدّث عن الشيخين ّالذين يقّر بفضلهما، ويعترف بغزارة علمهما الصّحيح إذا ما قورن بما وجده في عديد يلق العلم التي طاف بها، يذكرهما في المرحلة الثالثة من حياته إذ يقول: "... **وطفت بحلق العلم في الحرم النّبوي مختبرا فلم يرق لي شيء منها، وإنما غشاء يلقيه رهط ليس له من العلم والتّحقيق شيء ولم اجد علما صحيحا إلا عند رجلين هما شيخاي: الشّيخ العزيز الوزير التونسي، والشّيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، فهما – والحق يقال– عالمان محققان واسعا فق الإدراك في علوم الحديث وفقه السنة** "[1].

كذلك نجده يتحدث عن دور جمعية علماء الجزائريّين وعظمة الأعمال ّالتي قاموا بها في تحسين المستوى العلمي للشعب الجزائري ّالذي تركته فرنسا أميّا وجاهلا: "**وفي هذا التصوير وهو قليل من كثير، تتضح عظمة الأعمال التي قامت بها جمعية العلماء الجزائريين وفي وسط هده الظلمات المعكرة بالظلم والجهل والفقر، وإنّ جمعية توجد شيئا من لا شيء لحقيقة بالتّقدير والإعانة العلميّة... إنّ جمعية تشيد مائة وخمسين مدرسة ابتدائية وتعمّرها بنحو خمسين ألف تلميذ من بنين وبنات**(...)

ثم تنشئ معهدا ثانويا يحتوي على ألف وخمسمائة تلميذ وتشيد سبعين مسجدا لإقامة الشعائر الإسلاميّة...،[2] كل هذا من الآمال ّالتي تسعى جمعية العلماء لتحقيقها، في سبيل اخراج الجزائري من الجهل والأميّة.

ولعل حب الاطّلاع هو السبب الرئيس الذي دفع الإبراهيمي إلى تحقيق تلك الأغراض، ويتضح ذلك في قوله : "**دواعي هذه الرّحلة كثيرة، ولكنّها ترجع إلى أصل واحد، ومثيراتها في نفسي قديمة العهد، تتصل بما ركب في طباعي من حب الاطّلاع والبحث، خصوصا في شؤون الشعوب بالإسلاميّة**"[3].

[1]– المصدر السابق، ص:32.

[2]–المصدر نفسه، ص: 280.

[3]–المصدر نفسه، ص: 24.

ومن نموذج حب الاطّلاع والتّعلم عنده مشكلة اللّغة الّتي أيقضت الإبراهيمي من ذلك الجوّ الّذي تسوده الألفة والمحبّة في أثناء المناقشات العلميّة.

مع كبار العلماء والأدباء والمفكرين، فغيّرت اتّجاهه إلى المحيط العام حيث الاختلاط بالنّاس أمر ضروري في هذه الرّحلة، ممّا يتوجب عليه التّحدث بلغة أخرى غير العربية الّتي لا تيقن إلا إيّاها "**وأنا لا حظّ لي في شيء من هذه اللّغات، ولم يفتق الله لساني إلاّ بالعربيّة، وأنا راض بهذا**".[1]

إلاّ أنّه لم يكن مكتوف اليدين، ولا مكبل العقل، في انتظار قدوم التّرجمان فسعى جاهدا لتعلم وحفظ ما أمكنه من الكلمات الضروريّة في التعامل والتواصل مع النّاس، فكان حديثه عن ذلك فيه من الاستفادة والإفادة الكثير، حيث يقول: "**طأبت لي همتي أن أجمع بين الجهل والعجز، فتعلمت في بعض يوم ألزم ما يلزمني للضروريات، وأهمها عندي طلب الماء البارد في ثلاث كلمات: طاندة، باني، لاو والأولى معناها بارد، ولكن مخرج الطاء فيها من أغرب المخارج، والثانية معناها الماء، والثالثة معناها هات** ..."[2]

مما سبق يمكننا القول ب أنّ الإبراهيمي حيث حلّ وارتحل أفادو استفاد، من خلال ما يقدمه من مكتسبات جديدة أخّدها من أفواه العلماء، الّذين لازمهم ملازمة الظّل، والاغتراف من مختلف الحقول العلميّة والمعرفيّة لشدة ولعه.

كما إنّ أداء العلماء لفريضة الحجّ يمكنهم من الالتقاء بغيرهم ممّن يحضر موسم الحج، حيث تلتقي أمّة الإسلام على اختلاف شعوبهم وأعرافهم.

أصبحت رحاب الحرمين في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة ملتقى لصفوة علماء الأمّة، حيث اعتبر الحجّ إلى مكّة فرصة مواتية للقاء العلماء والأدباء والمفكرين من شتّى بقاع العالم الإسلامي، يتم من خلاله التّعارف والإطّلاع على المؤلفات وأخد الإجازات العلميّة فيما بينهم، ويحققّون من خلالها أكثر من فائدة.

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص:40

[2]- المصدر نفسه، ص: 41

وقد أولى الشّيخ الطيّب المهاجي اهتماما بذكر علماء الحرمين، وما جرى بينهما من مناقشات علميّة، مسجلا ومدونا لأهم القضايا التي كانت موضوع انشغالات المسلمين.

ففي مكّة أقام الشيخ المهاجي عدّة أيام منها يوم عرفة وأيام منى، في قوله: "**اجتمعت أثناء تلك المدّة داخل المسجد الحرام وخارجه بعلماء مكييّن وأفاقين كنت قيّدت أسماءهم، ومادار من حديث بيني وبينهم، ولكن ضاع منّي ذلك في جملة الكتب والأمتعة... بالجزائر**"[1]

ومن العلماء الّذين قابلهم الشيخ بمكّة واستفاد من علمهم ومعارفهم، الشيخ العلاّمة أبو السمح إمام المسجد الحرام، حيث قال:" **ومن الّذين اجتمعت بهم بمكّة الشيخ أبو السمح امام المسجد الحرام فتحادثنا، وكان موضوع حديثنا في حكم صلاة ركعتي الطواف بعد طلوع الفجر وبعد صلاة العصر، فذكرت له أن مذهب المالكيّة فمن طاف بعد الصبح أو العصر أنّه يؤخر ركعتي الطواف إلى ما بعد صلاة المغرب** (...) **فقال الشيخ أبو السمح المسألة خلافية**".[2]

كما نقل مشهد مجلسه العلمي بمكّة مع الشيخ أحمد الشريف السنوسي الخطابي الّذي التقى به في زاويته بأبي قبيس في قوله: "**كنت أيام إقامتي بمكّة أتردّد إلى هذا العالم الرّباني في زاويته بأبي قبيس وأحضر مجالسه الخاصة بالوفود الّتي تتوارد صباح مساء للسّماع منه والأخد عنه والتّبرك به** (...) **وكان صاحب اسعاف وعطاء لا يمنع سائلا ولا يخيب آملا**" (3). سمع الرّحالة منه في مجلس واحد ثلاثة عشر حديث من المسلسلات. وهده إشارة إلى الأهميّة والمنزلة الّتي حظي بها هذا العلاّمة في الوسط المعرفي بمكّة الشريفة.

وبالمدينة المنوّرة قابل الشيخ الطيّب المهاجي جماعة من العلماء، وحضر دروس بعضهم، وخاصة درس الشيخ العلاّمة خليل التكروري، حيث ذكر: "**دخلناها ليلة الثّالث والعشرين من الشّهر المذكور، وكانت ليلة الجمعة،** (...) **وخرجنا من المدينة فاتح المحرم، فكانت إقامتنا**

[1]– الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر و أطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، ص: 72.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

بها ثمانيّة أيّام قابلت أثناء هذه المدّة القصيرة جماعة من علماء المدينة وحضرت دروس بعضهم، وواظبت على حضور درس العلاّمة الزاهد الورع الشيخ خليل التكروري".[1]

ومن علماء المدينة المنوّرة، أيضا، الّذين قابلهم واستقى منهم خبرات ومعارف "**أبو العباس العلاّمة الشيخ أحمد الأمين بن عزوز**" [2]، زاره الشيخ بمنزله و تباحثا معا في مسائل متنوعة. استفاد منها الشيخ فوائد وعبر جمّة .

كان الرّحالة حريصا على الحضور إلى حلقات الدروس، وحصوله على الإجازات العلميّة، وهدا نجده عند حلوله بالحرمين الشريفين حيث ذكر إجازة الشيخ أحمد الشريف السنوسي له في قوله: **"وقد أجازني مشافهة إجازة عامّة وأذن لي في تلقين أوراد الطريقة السنوسية المنسوبة لمؤسّسها جدّ المترجم له العلاّمة الشهير المربي الكبير سيدي محمد بن علي السنوسي الخطّابي ثمّ الجزائري دفين جغبوب. ومن المجيزين لي من علماء المدنية، أبو العباس القدوة الإمام العلاّمة الشيخ أحمد الأمين بن عزوز زرته بمنزله وتباحثنا في مسائل متنوعة هامة، ثمّ أجازني مشافهة أجازة عامة، وحيث كنت على جناح سفر وحال عجلة أو ميت بعض أصدقائي وهو الفاضل السيد عبد القادر ابن المفتي الجزائري المجاور بالمدينة المنوّرة وانبته أن يتسلم لي من الشيخ الامين اجازة بخط يده أتبرك بها كما وعدني بذلك وقت توديعي له، وبعد مدّة كتب إلى الاخ المذكور بما مضمونه: يسلّم عليكم فضيلة الشيخ سيدي أحمد الأمين، ويقول لسيادتكم يكفيك عن الكتابة ما أخذته عني لأنّ الإجازة مشافهة اقوى منها كتابة لأنّ الأولى تعدّ عند أرباب هدا الشّأن من السماع المعبر دون الثانية ثم، يقول وإن رغبت في الكتابة فإني مستعد لإجابة رغبتكم. انتهى (...)"**[3].

ووقف أبو القاسم سعد الله في رحلته إلى المغرب على العديد من المكتبات من أجل جمع المادة التاريخيّة لكتابة تاريخ الجزائر الثّقافي، وأوّل مكتبة انتقل إليها الرّحالة في رحلته هي المكتبة الوطنيّة المسماة الخزانة العامة، والّتي التقى فيها بالعديد من الباحثين الجزائريين وغيرهم من العرب،

[1]- المصدر نفسه، ص:77.

[2]- المصدر نفسه، ص ن.

[3]- المصدر نفسه، ص: 77.

ومن الّذين التقى بهم كما يذكر: "**الأستاذ محمد إبراهيم الكتّاني رئيس قسم المخطوطات بالخزانة العامة الّذي التقيت به عند خروجنا من المكتبة منتصف النّهار، وقد سبق لي أن عرفت الأستاذ الكتاني في مؤتمر كتاب المغرب العربي الّذي انعقد بطرابلس بليبيا سنة 1969**"[1].

وقد انتهز الرّحالة الفرصة في لقائه بالعديد من المثقفين المغاربة في المكتبة الوطنيّة المغربيّة للاستفسار عن بعض الأمور الغامضة الّتي قد تعترضه في مهمته حيث راح يستفسر الأستاذ المنوني "**عن رحلة ابن طوير الجنّة المغربي الّذي تحدث فيها عن الجزائر في بداية الاحتلال**".[2]

وتوجه إلى المكتبة الملكيّة، وهي مكتبة واقعة بحرم القصر الملكي، قيل له أنّها تحوي مخطوطات متعلّقة بموضوعه والّتي تعرف عليها "**الأستاذ محمد داود مدير المكتبة الملكيّة ومؤلف موسوعة تاريخ تطوان الّتي بلغت حتّى الآن أربعة عشر جزءا**".[3]

زيارته لهده المكتبة لم تكن بغاية الاطّلاع على الكتب والمخطوطات فقط، وإنّما كانت فرصة له للتّحاور مع الباحثين والدراسيين هناك من جهة، وكذا الاطّلاع على مختلف، دراسات الباحثين من جهة أخرى، وتصفح مختلف المخطوطات الّتي كانت بحوزتهم، فقد تذاكر الرحالة.

مع الأستاذ محمد داود في حياة الشيخ أحمد الورزّزي التطواني "**الّذي قد زار الجزائر في القرن الثاني عشر للهجرة، وفي رحلة ابن حمادوش الجزائري الّذي زار تطوان ومدن فاس ومكناس خلال نفس الفترة** ".[4]

واهتمام الرّحالة بمختلف المخطوطات لا يعني أنّها تدخل في مصادر بحثه الّذي كان بصدد إعداده، وإنما يعود ذلك إلى فضوله من جهة، وحبه للمطالعة والعلم وإفادة القارئ من جهة اخرى. فقد اطّلع على العديد من المخطوطات، وقدم معلومات ثرية عنها للقارئ والباحث.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، رحلتي إلى المغرب، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 209.

[2]- المصدر نفسه، ص: 213.

[3]- المصدر نفسه، ص: 219.

[4]- المصدر نفسه، ص: 220.

كما اطلع على آثار أبي القاسم الزيّاني والّتي جعلها في ثلاث: (التّرجمان المعرب) وهو كتاب في التاريخ العام و (التّرجمانة الكبرى) وهي رحلة خارج المغرب ليقف الرحالة عند (الترجمان المعرب) والّذي يقول فيه: "**ورأيت لأبي القاسم الزياني كتابه (الترجمان المعرب) نصفه بخط المهاجر الجزائري أبي حامد العربي المشرفي** (...) **وكان الزياني قد ألّف كتابه هذا في مدينة تلمسان، وقد بداه بآدم عليه السلام** (...)".[1]

وعثر الرّحالة على عنوان مخطوطين للجزائري التونسي أحمد التيفاشي "**وهما رسالة المعادن والاحجار** (...) **و (زهر الأفكار في جواهر الحجاز)** (...) **ويوجد من الأوّل نسخة على الأقل ومن الأخير عدّة نسخ**"[2]. ونظرا لأهمية آثاره أحمد التيفاشي كان موضع اهتمام الأوروبيين وبخاصة فيما يتعلّق بالترجمة، كما يذكر الرحالة أنّ أبا القاسم كرو يجمع آثار التيفاشي ويعتزم نشر بعضها والتّعريف بحياة صاحبها"[3]، لعلها تفيد الباحث العربي، بل الباحث بصفة عامة.

إنّ هذا الكمّ الهائل من العلم الّذي عرضه الرّحالة أبو القاسم سعد الله، ماهي إلاّ نماذج قليلة، لأنّ الرّحالة إذ أسهب في الحديث عنها لاحتاج إلى وقت كثير. وهو يعترف بذلك قائلا: "**ولعلي لو ذكرت من كلّ ما وقعت عيناي من كتب الرّحلات والتاريخ والآداب خلال رحلتي لأثقلت على القارئ، وحسبي هذه العجلة، أمّا ما طلعته أو قيدته عن الجزائر بأقلام جزائرية "فحدث على البحر ولا حرج" وهو بيت القصيدة من كلّ رحلة، ولعلي أقدمه في مناسبة أخرى بشكل ابجدي يفيد المستفيد ويستزيد منه المستزيد**".[4]

ووفرة الكتب العربية القديمة منها والحديثة في المغرب الأقصى جعلته يقطع أشواط كبيرة في الميدان العلمي، إذ صار البلد قبلة للعديد من الدّارسين والباحثين العرب والأجانب.

[1]- المصدر نفسه، ص: 233.

[2]- المصدر نفسه، ص ن.

[3]- المصدر نفسه، ص: 234.

[4]- أبو القاسم سعد الله، (رحلتي إلى المغرب)، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 234.

وعليه من خلال التّأمل السّطحي العام لهذه الرحلات، فلا غرور أن تكون هذه الشخصيات الشغوفة بالعلم، المتطلعة للمزيد مفتاحا للولوج إلى عوالم أخرى –مكانا وزمانا– ساهمت بشكل أو بآخر في تكوين علمي معرفي آخر.

ثانيا– قضيّة الدّين:

هو نظام اجتماعي ثقافي من السلوكيات والممارسات المعنية، والأخلاق، والنظرات العالمية، والنصوص، والأماكن المقدّسة، أو النبوات، أو المنظمات، الّتي تربط الإنسانية بالعناصر الخارقة للطبيعة، أو المتعالية، أو الروحانية.

حملت رحلة البشير الإبراهيمي باتجاه مصر وباكستان عنوان رحلتي إلى الأقطار الإسلامية. وممّا لاحظه الرّحالة في هذه البلاد شدّة تمسّكهم بدينهم، ليعلو بذلك عزّ الدين على الجاه **"ورأيت عزّ الدّين كيف يعلو على عز الجاه والمنصب، وأعظمت فيهم هذا السعي الحثيث إلى ذكر الله في وقت بدأ فيه التحلل الدّيني من أمثالهم، ثم عملت مع العشرة محافظتهم الشديدة على إقامة الشعائر، وسعيهم إلى المساجد للجمعة لا يتهاونون ولا يترخصون، مع الفقه الصحيح لأحكام الدّين "**[1].

كما تحدث عن صلاح الأمّة التي لا تصلح إلاّ بما صلح به أوّلها والمقصود منها أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، الّتي تقوم على الحق والعدل وتتحد فيما بينها على فعل الخير **"لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أوّلها، وهذا العنوان جملة ان لم تكن من كلام النبوّة فإنّ عليها مسحة من النبوّة، ولمحة من روحها (...) والأمّة المشار إليها في هذه الجملة أمّة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (..) أقوم على الحق وأهدى به من أوّل هذه الأمّة، ولم تشهد منذ حددها الله مجموعة من بني آدم اتحدت سرائرها وظواهرها على الخير مثل أوّل هذه الأمّة "**[2].

- وعرّف بالقرآن وأهميته في إصلاح النّفوس، وكيف يستطيع الفرد بفضله التخلص من التّقاليد البالية والتقيّد بالسلوكات والأعمال الفاضلة الّتي تتحلّى بها أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف أصلح

[1]– محمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، م ج 4، ص: 35.

[2]– محمد طالب الإبراهيمي، (رحلة إلى العراق)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، م ج 4، ص:94.

بالتّوحيد ما أفسدته الدّيانات الأخرى" **القرآن هو الّذي أصلح النّفوس التي انحرفت عن صراط الفطرة وحرّر العقول من رقبة التقاليد السخيفة وفتح أمامها ميادين التأمل والتعقل ثمّ زكى النفوس بالعلم والأعمال الصالحة وزينها بالفضائل والآداب، (...) أصلح بالتوحيد ما أفسدته الوثنية، وداوى بالوحدة ما جرحته الفرقة واجترحته العصبية.**"[1]

وتطرّق أيضا، للتّعريف بجمعية العلماء الجزائريين وكيف جمع العلم بين هؤلاء الأعضاء عن طريق القرآن والحديث النبوي الشريف، الذي بدوره (العلم) شمل كل العلوم وبخاصة الدينيّة، بالإضافة إلى جهودهم المختلفة فيما يخص دعوتهم بالرجوع إلى القرآن وعدم هجره، والعمل به للتخلّص من الرذائل التي تهاجم الاسلام (...) "فأعرفكم بجمعية العلماء الجزائريين وبشيء من أعمالها للإسلام (...) جمع بينهم العلم الواسع بحقائق الإسلام المستمدّة من الكتاب والحديث، والإطّلاع الواسع على التاريخ الاسلمي والحفظ الوافر من الاطلاع على أسرار اللسان العربي الذي هو لسان الاسلام (...)

زيادة على ذلك نسق من الأخلاق المحمدية منها "**الإخلاص في الذود عن حقائق الاسلام وتطهيره من كل ما علق به من ضلال العقائد وبدع العبادات** (...)، **مع العلم بأنّ منشأها الأول آت من هجرهم للقرآن وبعدهم عن فهمه فبعدوا عن هدايته** (...) **وإنّ هذه الجيوش من الرذائل التي تهاجم الإسلام في إيراد الشبه وفي تزيين الإلحاد، لا تدفع إلا بالاعتصام بالعروة الوثقى وهي القرآن**".[2]

كما تطرّق الشيخ الطيّب المهاجي الجزائري في تلقين الدّروس الشرعية والمواعظ، وهو على ظهر السفينة، وبخاصة تلك التي لها علاقة بتأدية مناسك الحجّ، حرصا على الآداء السليم للفريضة في قوله: "**وكان بعض أعيان الحجاج إلتمس مني أقرأ مناسك الحجّ لمن هو راغب في أنّ يكون على علم منها ليؤدي على الوجه الأكمل ما هو مطلوب به شرعا، فلم تسعني مخالفته، واجبته لما**

[1]- المصدر السابق، ص ن.

[2]- المصدر نفسه، ص: 97.

سأل، وفعلا صرت أقرأ درسين بالغدو والعشي من كل يوم إلى أن وصلنا بجدّة، وكان أكثر أهل المركب يحضرون الدرس، وهم ما بين مراكشيين وجزائريين".[1]

إذاً الدّين هو فقط من يجمع لأتباعه بين خيري الدنيا والآخرة، وهو فقط من يوازن بين حاجات الروح ومتطلبات الجسد، وهو فقط من يجيب عن الأسئلة الفطرية التي تختلج بين جوانحنا.

ثالثا–القضيّة الجزائريّة ابّان الاستعمار:

الاحتلال الفرنسي للجزائر الأكثر بشاعة في التّاريخ، فمنذ أن حلّ بسيدي فرج في 5 جويلية 1830م، عملت فرنسا على طمس مقومات الهوية الجزائريّة، فباشرت حربا شرسة على المساجد والمدارس الفرنسيّة للتبشير بالمسيحيّة، فجوعت وفقرت، ويتمت، ورملت، وشردت، فاغتصبت أرض الجزائر، إلا أنّ أسود الجزائر قاموا نساءا ورجالا، كبارا وصغارا، للتصدي لها بالسلاح والقلم، داخل الوطن، وهناك من عمل على نقل القضيّة الجزائريّة إلى بلدان العالم من خلال الرّحلة، والمشاركة في المؤتمرات.

والرّحالة البشير الإبراهيمي من الذين ركبوا البّر والبحر بالقضيّة الجزائرية إلى خارج البلاد، كي يعم صوت الجزائر في أقطار العالم، فعند رحلته إلى باريس تناول قضية فصل الحكومة الجزائرية عن الدّين الاسلامي لقوله: "**ذهبنا إلى باريز لخدمة قضيتين باريز هي مركزهما، وهي ميدان الأعمال لهما، الأولى قضيتنا المعروفة ذات الشعبتين، وهي فصل الحكومة الجزائرية عن الدّين الإسلامي، وحرية التعليم العربي وهي القضيّة التي قضينا عقدين من السنين في الحديث عنها، والخطابة فيها والمطالبة بها ومازلنا".**[2]

بهدف الدفاع عن اللّغة العربية ورفع القيود عنها، واقناع السلطات الاستعمارية للابتعاد عن شؤون المسلمين الدينيّة، لأنّه كان على اتصال بها، "**والملاحظ في نشاط الإبراهيمي أثناء وجوده في فرنسا. أنه عمل أثناء رحلته إلى باريس على الاتصال المباشر بالسلطات الفرنسيّة المحتلة لأرض الجزائر، والحال كذلك كان له مع البرلمانيّين، ورجال الصحافة حتّى يعطي دفعا أكثر**

[1]– الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، (رحلته إلى الحج)، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ص: 97.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، ص: 371.

فعالية، ومقاومة عقدية وفكرية وقوميّة، ووطنيّة، تلفت انتباه سلطات المحتل، وتجعله يفكر بجديّة في مطلب الشعب الجزائري، ذلك لأنّ تطوّر المعارضة والمقاومة، ارتقى من الداخل إلى الخارج في الدّاخل الفرنسي".[1]

وكذلك عندما حطّ رحاله بباكستان، تعرض للاستجواب من قبل صحيفة باكستانية، أين وصف بشاعة الاستعمار الفرنسي الطاغي، ومدى ممارسة بطشه على الشعب الجزائري قائلا: **"الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وفي شمال افريقيا عامة، هو أفضع أنواع الاستعمار التي عرفها البشر في مراحل التاريخ، لأنّه ظلم صريح الأثر، وحشي الأسلوب، حيواني النزعة، متوقح الوجه، ولأنه يتصل بالنفوس بحبل أو بخيط من الإحسان إليها ينتهك حرمات الله، وحرمات الإنسان على السّواء."**[2]

كما صرح، أيضا، بالخلفية الدينيّة للمستعمر الفرنسي، وسعيه إلى التّبشير المسيحي، ومحوه للّغة القرآن وأهل الجنّة، فيقول: **"يحمل للإسلام والعربية حقدا دفينا، يستره بأقواله، فتكفر به الأفعال القبيحة، والمعاملات الشنيعة، وانتهاكه لحرمات المساجد وابتلاعه لأوقاف المسلمين، واحتكاره التصرف في الشعائر الدينيّة كالحجّ".**[3]

ما دفع به إلى التّصريح والكشف عن مهام حركة جمعية العلماء المسلمين التي يتفق الجميع على أنّها **"حركة دينية غير أنّها حركة كليّة لها طرفان أحدهما الدّين بعقائده وأخلاقه، وفضائله وروحانيّة، والثاني الدنيا بقوتها ومالها وعزتها وسيادتها وعلومها"** [4]، فكانت بالمرصاد للمستعمر الذي عمل على محو الثقافة الجزائرية وطمس الهويّة من لغة ودين، **"فقد عمل في مئة سنة على محو آثار الإسلام من النّفوس بقتل أخلاقه الميتة، وعقائده الصّحيحة ، وعلى محو عزّة العروبة من النّفوس...**

[1]- ابو القاسم العباسي، الشيخ الإبراهيمي، http// binbadis.net، 02 سا و 52 د، 31 ماي 2021.

[2]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 87

[3]- المصدر نفسه، ص ن

[4]- المصدر نفسه، ص: 88.

...لكن جمعية العلماء هي التي وقفت له في هذا السيل وسدت عليه منافذ أغراضه الخبيثة، فنبتت للإسلام وأحيت العربيّة "[1].

وما ينبيء عن الرّوح الوطنيّة، التي تسير في عروق الرّحالة البشير الإبراهيمي، هو أنّه عندما ما حطّ رحاله بمصر، ونزل ضيف بصحيفة منبر الشرق، وصحيفة الدعوة في أوت 1954، بالقاهرة، عرّف بالشعب الجزائري الملتزم بعروبته قائلا: "**إنّ الشعب الجزائري جزء ثمين من الأمّة العربيّة المجدة، مازال محتفظ بخصائص العروبة، كأقوى ما يكون الاحتفاظ، ومن ثم فهو رأس مال العرب يجب أن يحافظوا عليه "**[2]، وعلى الرغم من سياسة التّبشير التي سنتها فرنسا، واعتمدتها كخطة للفتك بالدّين الإسلامي في الجزائر، إلاّ أنّها لم تحقق هدفها لقوله: "**هو كذلك جزء له قيمة من الأمّة الإسلامية العظيمة، مازال محتفظا بشعائره، متصلبا في عقائده الكريمة السمحة** ".[3]

وكلّ هذا لم يكن هباءا منثورا، بل هو متعمد من قبل الرّحالة، "**فلم يكن يعرّف بالشعب الجزائري، كمجموعة أفراد يقطنون رقعة جغرافية محدودة في الخريطة، بل ليبيّن أنّ الجزائر عربيّة إسلامية، ينبغي على الدول التي تربطها بها روح القومية مساندتها في قضيتها وأزمتها، لأنّها رأس مال عظيم للمسلمين يجب عليهم –حيث ما كانوا– أن ينظروا إليه نظرة الأخوة المقتضية للنجدة والنصر**".[4]

ولم يتوقف البشير الإبراهيمي هنا فقط، بل نقل وصوّر بطش الاستعمار الفرنسي، وتسطله، وكشف أعماله، وفضح هدفه الذي كان يزعم أنه جاء لتطوير الجزائر، بل للفتك بالدّين الإسلامي، ونشر الجهل والأمية، ومحو الثقافة الجزائرية، "**فكان يعمل جاهدا على قتل شخصياتها بالقضاء على الدّين واللّغة العربية، وكان أوّل عمل قام به، هو مصادرة الأوقاف الإسلامية، والمعاهد التابعة لها... ثم أصدرت قانونا لا تعرف له نظيرا في تاريخ البشرية العاقلة ويقتضي باعتبارها اللّغة**

[1]– المصدر السابق، ص ن.

[2]– المصدر نفسه، ص: 342.

[3]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 342.

[4]– المصدر نفسه، ص ن.

العربيّة، لغة أجنبية في وطنها وبين أهلها" [1]، وحطت من قيمة مُعلم اللّغة العربية، فعذبت، وسجنت وأصبح" **يقف في قفص الاتهام مع اللصوص والسافكين"**.[2]

وعليه كان هدف الرحالة، من رحلته هو نقل رسالة واحدة حملها عن الأمة الجزائريّة، إلى شقيقاتها بالشرق العربي، وتتمثل في: **"شرح الحالة على حقيقتها وطلب النجدة السريعة بالإعانات المالية تحفظ الموجود في الجزائر، وتدفعه خطوات إلى الأمام "**.[3]

ويلزم جامعة الدول العربية على الوقوف مع القضيّة الجزائريّة ودعم نصرها وتحررها من سم المستعمر، فيقول: "**إنّ جامعة الدول العربية ملزمة، بروح ميثاقها العالم أن تحرر كل عربي على وجه الأرض بالمستطاع من وسائلها التدريجيّة، ولا نشك أنّ للشعب الجزائري مكانة في نفس الجامعة...**".[4]

وبهذا تكون الرّحلة الجزائريّة الحديثة الخارجيّة، قد التزمت بقضية وطنها، فساهمت بشكل كبير في طرح القضيّة الجزائريّة في المحافل الدوليّة والعربيّة والإسلاميّة، والتعريف بها، ودعم نصرها، وفضح جبروت وفضاعة المستعمر الفرنسي.

رابعا–قضيّة الاغتراب:

الاغتراب مشتق من الغربة، وهذه الأخيرة تتمثل في" **شعور الذي يمكن أن يشعر به الإنسان، عندما يغادر مسقط رأسه، أو موطنه إلى مكان آخر، أو الشعور الذي يراود الفرد حين يضطر الانفصال أو النزوح عن مجتمعه "**.[5]

---

[1]– المصدر السابق، ص: 343.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

[3]– المصدر نفسه، ص: 278.

[4]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 279.

[5]– ميساء نبيل عبد الحميد، الغربة والإغتراب في روايات، www. Alnaked aliraai.net، 12سا و 32د، 5 جوان 2021.

إنّ الاغتراب ظاهرة اجتماعيّة عرفها البشر منذ القديم، نجدها في كل زمان وفي كل مكان، تعود لأسباب مختلفة ويكون إما طوعا أو إلزاما.

ونجد هذه الظاهرة متفشية بكثرة في المجتمع الجزائري وخاصة إبّان فترة الاحتلال الفرنسي، أين نجد الكثير من الجزائريين، هاجروا إلى فرنسا للبحث عن عيش كريم، وقوت يسد رمق أولادهم، ما دفع بالرّحالة الجزائريين الالتزام بهذه القضيّة في رحلاتهم، وأبرزهم البشير الإبراهيمي، الذي سافر إلى باريس، للدفاع عن الجزائريين المقيمين هناك، الذين جبروا على السفر والعيش في ديار الغربة، جراء الأوضاع المزرية التي مر بها الجزائريين في تلك الفترة من نهب وسلب أراضيهم وخيراتهم، فهربوا من الحرب والفقر والرّداءة في بلد أجبروا فيه، أنّ يعيشوا كالطاغين في العمر، وهم لم يكملوا العشرين من العمر، لقول الرّحالة: "**قضية اخواننا الجزائريين النازلين في فرنسا في سبيل العمل للقوت، حينما ضاقت بهم البلاد، وتنكر تام، وشحت عليهم بما تنبت وما تنبط، فخرجوا كرها، في صورة طوع وجير في هيئة اختيار**".[1]

عمل جاهدا في الدفاع عن حقوقهم، وأبرزها التعليم، والعيش الكريم، فطالب بإنشاء مدارس لتعليمهم، وتعليم أبنائهم، كي يبقوا متمسكين بتعاليم الدّين الإسلامي، ولا تندثر مع مرور الزمن، لقوله: "**أن نتسبب إلى تأسيس مدارس هناك لتعليمهم، وتعليم أبنائهم، حتى تبقى نسبتهم إلى الإسلام محفوظة، وعلاقتهم بالإسلام متينة** ".[2]

ولم يكتفي الرّحالة الإبراهيمي بطرح قضيّة شباب بلاده بل عرج في رحلته إلى الأقطار الإسلامية، وخاصة عندما حطّ رحاله بباكستان، إلى قضية شباب الأمة الإسلامية البعيدة عن الديار، وهي قضية مهمة جدا، لأنّ الشباب العمود الفقري للأمة، والثروة الحقيقية لها، وهو درعها وسيفها والسياج الذي يحميها من أطماع الطماعين، فيتوقف مصير كل أمة على شبابها، أين نجد شباب الأمة الاسلامية تأثروا بعوامل خارجية، أبعدتهم عن الدين الإسلامي، "**فتهور الشباب في**

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، ص: 372-373.

[2]- المصدر نفسه، ص: 373.

حمايته، وزعم التطور، وفي هذا التهور فمسخ أمته وأدغمها في غيرها، ثمّ لا تكون في ميزان ذلك الغير تابعة مسودة مستبعدة نازلة عن ذاتيتها ".[1]

وهذا ما يعبر إلاّ عن موت شباب الأمّة الإسلامية، وضياعها، جيلا بعد جيل، والبشير الابراهيمي لم يحمل مسؤولية هذا إلى الشباب، بل إلى المجتمع الإسلامي فيقول: "**إنّما المسؤول هو المجتمع الإسلامي المنحل، المختل، المعتل، الذاهل، الغائب عن الدنيا، والمسؤول الأوّل من هذا المجتمع، هم أولياء الأمّة من آباء وقادة وحاكمين**".[2]، لأن الجيل السابق هو الذي يهيء، ويعد للجيل اللاحق.

كما أوجب الرحالة على قادة النهضة الإسلاميّة إيجاد علاج، لهذا الخطر الذي يكاد يفتك بالدّين الإسلامي، من خلال إرسال "**صبيحة جهيرة وراء هذا الجيل الراحل عن الديار بروحه وعقله وهواه، ليرجع إليها...فلنعرفه أنّه سيجد ماضيا مشرقا، يتصل بحاضره، اتصال الأصل بالفرع، وسيجد تاريخا حافلا**".[3]

وهكذا تكون الرّحلة الجزائريّة الخارجيّة الحديثة، ساهمت ولو بقليل، في تناول قضيّة الاغتراب، ولفت الانتباه، إلى ما آل إليه شبابنا في ديار الغربة، من ضياع حقوقهم، وتمزق هويتهم، وتشرد أفكارهم، وانحلال الدّين الإسلامي عندهم، لأنّه لا يكون خير وصلاح في أمة، إلاّ بصلاح شبابها، كما سعت أيضا لإيجاد علاج لهذه العلّة.

خامسا–القضية الفلسطينية:

فلسطين حروف جمعت بين حب الوطنيّة، وعشق الحرية، وهي جرح الأمّة، ومن قضايا المهمّة، لأنها قلب العرب النازف الّذي يفوح بالقوة، والشّجاعة، والتّضحية.

فلسطين هي زهرة وسط الأشواك، اغتيلت الفرحة من وجوه أطفالها، وفقدانها للحنان والأمان بوجه أجيالها، ونسيان الضحكة والبسمة.

---

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 25-26.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

[3]– المصدر نفسه، ص: 26.

و" يمكن اعتبار القضية الفلسطينية من أعقد قضايا العصر ان لم تكن أعقدها على الاطلاق"[1]، فهي قضية شعب مشرد بأرضه المغتصبة من طرف الكيان الصهيوني، يسعى إلى استنشاق هواء الحرية.

كان الرحالة الجزائريون من الأوائل الذين دقوا نقوس الخطر، للنهوض بالأدمغة العربية على هذا الصهيوني الذي يهدد كيان، وحرية الشقيقة فلسطين.

فنجد الرّحالة بشير الإبراهيمي من تناول قضايا قومه ولم يتوقف عند قضايا وطنه فحسب، ومن أبرزها قضيّة فلسطين، لأنّه عندما "**ضاعت فلسطين العربية، وأنشئت على أرضها دولة الصهاينة، التي ما لبثت أن انشبت مخالبها في الشعب العربي بأسر، تأثر الامام البشير الابراهيمي لذلك أبلغ التأثر وأعمقه، وحز في نفسه الألم العظيم، وحزن على فلسطين، وكأنها جزء غال من وطنه المحبوب الجزائر**"[2] ، صرح في مقال كتبه بالقاهرة تحت عنوان فلسطين واليهود، أنّ له "**مجموعة مقالات في جريدة البصائر كانت طلائعها مبشرات تحتوي على تحميس للعرب في حرب اليهود... وكشف الأخلاق والطبائع اليهودية، ويتهم لدسائس والمكائد**".[3]

والقضية الفلسطينية ليست قضية الشعب الفلسطيني وحده بل الأمة العربية والامة الاسلامية أجمعين، فأثرت في نفوس الكبير والصغير لأنها تمس بالعروبة، والدين الاسلامي، لقول الرحالةّ:" **كارثة فلسطين من أعمق الكوارث أثر في نفوس المسلمين الصادقين، وجميع الكوارث التي حلت بالمسلمين، عدل من الله تخفى على البسطاه قضيّة فلسطين، فإن وجه العدل الإلهي فيها واضح مسفر** "[4]، ففيها أولى القبلتين، وثاني الحرمين، الذي منه عرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السموات السبع، كما وضح أيضا

[1]- السعيد بوبقار، فلسطين في أدب الإبراهيمي، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماجيستير، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2007-2008، ص: 15

[2]- عادل نويهض، البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، دار الأبحاث، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص: 85.

[3]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 393.

[4]- المصدر نفسه، ص ن.

"**بأن أجدادنا لم يأخذوا فلسطين من يد اليهود، وإنما أخذوها غلابا، من أيدي الروم، وحرروها من استعمارهم وفي تحريرها تحرير اليهود أنفسهم**"[1] ، وهم في طبعهم شعب أناني.

وعندما حلّ الرّحالة بالعراق دعته جمعية الأخوة الإسلامية الشّعب العراقي الكريم، إلى حفلا خطابيا بجامع الامام الأعظم، أين ألقى كلمة بليغة قصيرة، موجزة معبرة، وملخصة للقضيّة الفلسطينية، فاستهلها بالحمد لله والشكر، وحيا المسلمين كافة، ثمّ قام بطرح أسئلة وأجاب عنها لتقديم القضيّة الفلسطينية، فكان الأوّل: هل أضعنا فلسطين؟.

فأجاب بنعم، والثاني: هل أعطيناها أم أخذوها منها؟.

فرد ب: أعطيناها نحن ...، والثالث: هل يمكن استرجاعها ؟،فأجاب ب: نعم يمكن استرجاعها، وأخيرا: بماذا أضعنا فلسطين؟ ورد: أضعناها بالكلام، وختم كلمته ب: الرجل البطل يعمل كثيرا، ولا يقول شيئا.[2]

فالرّحالة البشير الإبراهيمي لم يكن كغيره يسعى إلى طرح القضيّة الفلسطينية في المحافل والمجالس، لكسب الرأي العام، بل كان يحمل ضياع فلسطين إلى العرب، ويذكرهم بها كي تحي عقولهم، ويستغفروا ربهم عن ذنبهم، الذي هدم حياة أختهم، قائلا: "**أيها العرب إنّ الذنب في نفسه ذنب، وأنّ عدم الاعتراف به يصير ذنبين، ولكنّ التوبة الصادقة المصحوبة بالعمل تمحوهما معا... أنتم الذين أضعتم فلسطين. بجهلهم وتجاهلكم مرة، وخذلكم وتخاذلكم ثانية، وباغتراركم وتغافلكم ثالثة، وبقولكم الهدنة رابعة وباختلاف سياستكم وقادتكم خامسة، وبعدم الاستعداد سادسة وبخيانة بعضكم سابعة، وبما عدوكم أعلم به منكم ثامنة؟**".[3]

ويعدّ الشّعب الجزائري من أبرز الشعوب الاسلاميّة بعامة، والعربية بخاصة، الّتي كانت تؤثر في نفوس الفلسطينيين، وتشجيعهم، ومساندتهم، وخاصة حدث الثورة الجزائرية "**فأعادت روح الأمل للفلسطينيين، وبعثت فيهم من جديد شعلة المقاومة، فأقاموا بإشعال ثورة العاصفة التي باشروها**

[1]- المصدر نفسه، ص: 394.

[2]- أنظر المصدر نفسه، ص: 282-283.

[3]- www. Stat times.com، 09 سا و 57د، 5 جوان 2021.

غزة1965" [1]، وكذا بقيت الجزائر مساندة لشقيقتها فلسطين، إلى يومنا هذا، لأنهما ذبحتا بسيف البطش والظلم ونزفت من كلاهما دماء الحرية، ولا يتحقق نصر فلسطين إلا باتحاد وتكتل العرب.

سادسا– قضيّة المورث الثّقافي:

ا– العادات والتقاليد:

العادات والتقاليد جزء لا يتجزء من الحياة، ولا يقتصر الموضوع على مجموعة من الأمور، مازلنا نتعامل معها أو نستذكرها، ولكنها تتعلّق أحيانا بعمق التاريخ العريق للوطن بأكمله، ففي كل منطقة تتجلّى العادات والتقاليد المحلية التي يصعب التّخلي عنها لسهولة السير مع التيّار، أو لأنّ التغيير قد يعرضنا للاستهزاء، وتشويه السمعة، وربما أكثر من ذلك.

يزخر المغرب بالعديد من العادات والتقاليد المتوارثة أبا عن جد، ومن العادات والتقاليد المتوارثة وقف عندها الرّحالة الجزائري أبو القاسم سعد الله ولفتت انتباهه هو ذلك الكرم الحاتمي الذي يتحلى به أصل المغرب، فبمجرد حلول الضيف عليهم يرحبون به، ويدعونه دائما لحضور مائدتهم ومن عادات المغاربة استقبال الضيف بطريقتهم الخاصة، وهي طريقة تقليدية أصيلة، كما أنّ الطعام المقدّم إليه هو طعام تقليدي يدخل ضمن ثقافتهم، أما الجلوس فيكون فوق الحصير أو الزّرابي المنمّقة ذات الزخرفة المغربية الأصيلة، فليتم الجميع دول صينية الطّعام المقدم وتيناولونه جماعيا لأنّ الأكل في طبق واحد هو من المظاهر التقليدية في المجتمع المغربي، اذ يجتمع كل الأفراد حول ذلك الطبق "**ليشتركوا في تناول الطعام، ويعبر ذلك عن معاني كثيرة وجليلة لدى المغاربة كالوحدة والاتحاد والتجانس والألفة والقرب والمساواة.**"[2]

إنّ هذه العادات الأصيلة التي لا يزال المغربي متشبثا بها، نالت إعجاب الرّحالة فعبّر عنها بأحسن تعبير قائلا: "**تناولنا العشاء في منزل آل الصائغ على الطريقة المغربية التقليدية، بغسل**

[1]– أحمد شنتي، الجزائر والقضية الفلسطينية...صفحات من الجهاد المشترك، جامعة الشيخ العربي التبسي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تبسة، الجزائر، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، ص: 120

[2]– منال عبد المنعم جاد الله، الاتصال الثقافي، دراسة أنثروبولوجية، في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الاسكندرية، (د، ط) ، (د ، ت)، ص: 216.

الأيدي قبل وبعد الأكل، ثم تناولنا الطعام بمقدمة الأصابع في طبق واحد موضوع على صينية كبيرة لامعة".[1]

والطّعام المقدم أكلة مغربية تقليدية متنوعة ومعروفة في الوسط المغربي عامة، وعادة ما تكون "**المائدة دسمة تبدأ بالبسطيلا المسكّرة الملوّزة، وتثنى بالدجاج المحمّر المتبل وتنقل إلى الكسكسي المصفر بالزعفران الحر والمدهون بأصيل الدهان، وتختم بالفاكهة المنتقاة من خير ما تجود به حقول المغرب المعطاة.**" [2]

إنّ هذه القعدة الحميمية كانت في مجملها تقليديّة، استغنى فيها المغربي "**بالأصابع عن الشوك والملاعق وبالجلوس العربي عن الجلوس الأوروبي، وبماء الإبريق عن ماء العين**".[3] تدل هذه المظاهر على تمسك المجتمع المغربي بموروثه الأصيل وشدّة المحافظة عليه، والحرص على التعريف به للمجتمعات الأخرى.

وتتبع القعدة لمة حميمية في قاعة الجلوس، يتناول فيها الأفراد القهوة، ولا سيما الشاي الأخضر، هذا المشروب التقليدي والأساسي الذي يكون غالبا حاضرا في مختلف سهرات المغاربة وليالي سمرهم يقول الرّحالة: "و**قد جلسنا في بهو الفندق وأحضر لنا الشاي الأخضر وسهرنا حتّى قرب العاشرة ليلا**".[4]

ومن عادات المغاربة تناول الشّاي كذلك بعد الوجبات الدّسمة، لأنّ الشّاي يعمل على امتصاص الدّهون، وهذا ما لاحظه أبو القاسم سعد الله في رحلته إلى المغرب، فبعد تناول الغداء والذي كان وجبة دسمة أحضر لهم فناجين الشاي الأخضر المعطر بالنعناع، وهو تقليد أجاد فيه المغاربة منذ القديم. ولا يزال حتى اليوم حاضرا في مختلف المجتمعات المغربية.

[1]- أبو القاسم، سعد الله، (رحلة إلى المغرب)، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 224.

[2]- المصدر نفسه، ص: 225.

[3]- المصدر نفسه، ص: 225.

[4]- المصدر نفسه، ص: 216.

ويحرص المغربي دائما على ارتداء الجلاّبة المغربيّة عند الخروج من المنزل وهذا اللّباس التقليدي يرتديه الرجل، كما ترتديه المرأة، وهو ما شدّ انتباه الرّحالة إ لاحظ معظم النساء يرتدين الجلاّبة المغربية للرجل المغربي، فهو يذكر أن أوّل ما شاهده وهو يدخل المكتبة الوطنية شيخا كبيرا كان "**مرتديا جلابة مغربية وطربوشا** "[1]؛ إلاّ أنّ ما يميز جلاّبة المرأة عن جلابة الرجل هو "**طريقة التطريز، إنه بلا شك الذي به ولا غرو، فهو زي الفقير والغني والرجل والمرأة والكبير والصغير مما يدل دلالة واضحة على بساطة الرجل الم"يعت غربي وتمسكه بتاريخه العريق**".[2] الضارب في الأعماق.

أما فيما يتعلق بطبيعة حياتهم اليوميّة، فإنّ المغربي يقضي يومه جادا مثابرا لكسب قوت عياله، ويعدّ السّوق واحد من الأماكن التي يقصدها سكان القرية، ففيه يلتقي سكان البلدة يتبادلون مختلف أخبار الأحداث التي جرت خلال الأسبوع كلّه، لأنّ السوق حسب المغاربة له يوم واحد متفق عليه يأخذ مكانه في الوسط المغربي كما أنّه يحوي مختلف البضائع التي يحتاجها السّكان، فهو مليء "**بالخضر والبقالة والدّباغة والذّهب واللّحوم**... "[3].

إنّ هذه الأسواق الشّعبية تكثر فيها البضائع، "**كما أنّها بالخلق حتّى أنّك تفقد صاحبك وسط الزّحام لو تركته يغيب عن عينيك لحظة**".[4]

وخلال جولاته بين أحياء وشوارع المغرب لاحظ أنّ كثيرا من الشوارع المغربية "**تحمل أسماء المدن العربية العتيقة والعواصم الحاليّة مثل القاهرة وعمّان ودمشق وجدّة والطائف والقدس وبيروت وحلب وحمص.**

[1]- المصدر نفسه، ص: 213.

[2]- منال عبد المنعم جاد الله، الاتصال الثقافي دراسة انتروبولوجية في مصر والمغرب، ص: 148.

[3]- أبو القاسم سعد الله، (رحلة إلى المغرب)، تجارب في الأدب والرحلة، ص 201.

[4]- المصدر نفسه، ص: 222.

وهو تقليد أجاد فيه المغاربة وهو بلا شك مظهر من مظاهر العراقة والمحافظة على التراث العربي الإسلامي".[1] وهذه الطريقة التي انتهجها المغرب تعد واحدة من الطرق التي تعمل على حفظ المورثات التي لها القدرة على الضياع والاندثار في أيّ وقت.

ومن عادات وصفات الحكومة السعودية التي تنبّه لها الطيب المهاجي أنهم يتخذوا كلّ الوسائل الّتي تحفظ راحة الحاج وتضمن سلامته من الاعتداء عليه حتى ينفصل عن أرض الحجاز، فتحدث المهاجي عن ذلك فقال : "(...) **من أجل الحكومة رتبت خروج السيارات التي أعدت لنقل الحجاج من مكّة إلى المدينة (...) لا تخرج السيارة إلاّ بإذن الحكومة المحلية، كما أنها لا تخرج إلا في الوقت المعين لها، فيسافر الحجاج من مكّة، إلى المدينة أفواجا في أوقات متفرقة، وغذا حضرت السيارة برقمها الخاص وبسائقها المعين فإنها لا تحمل سوى العدد المرخص لها في حمله (...) ويسأل الركاب عن هذا السائق كيف كانت معاملته لهم، أحسن...أم أساء...وبالجملة فالحكومة السعودية تعتني اعتناء لا مزيد عليه باتخاذ الوسائل التي تكفل راحة الحاج وتضمن امنه وسلامته من الاعتداء عليه حتى ينفصل عن راحة الحجاز".**[2]

وصف الرحالة أبو القاسم سعد الله المغرب على أنها بلاد أثريّة تكوّنت فيها العديد من الحضارات، ممّا جعلها بلاد آثار، لا تزال تشهد العديد من العمائر الدّينية (مساجد، مدارس، أضرحة،...) و ممّا ذكره الرحالة:

جامع السنة: **"وهو جامع ضخم وحديث مبني على الطراز الاندلسي المغربي"** [3]، وهذه البنايات الأثرية أهم ما يميزها هو تلك النقوش التي تحفظ العديد من المعلومات التي لولاها ضاعت واندثرت.

[1]- المصدر السابق، ص: 208.

[2]- الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر واطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، ص: 76.

[3]- المصدر نفسه، ص: 208.

فجامع السنة كتب عليه أن الذي بناه هو محمد بن عبد الله سنة 1785م وأن الذي جدده هو الملك الحسن الثاني سنة 1969م، ويضاء هذا الجامع ليلا كما تضاء صومعته العالية. فيرى من بعيد كأجمل ما تكون الرؤية.[1]

إذن هذه النقّوش لها قيمة تاريخيّة تتجلّى في تلك المعلوماتّ الّتي لا تزال محفورة ومتعارف عليها بين أهل المغرب، ثمّ إن هذه النقوش والأشكال الهندسية المغربية أهم ما يميزها هو امتزاج البصمة المغربية بالبصمة الأندلسية. فالعمارة المغربية غالبا ما زين **جدرانها "بالزّليج الملون المشكل بمختلف الأشكال الهندسية، وفيها أجزاء منقوشة بنقوش مغربية أندلسية"**[2]. **فكانت هذه البصمات الفنية دليل على أن المغرب تعاقبت على حكمه العديد من الدول "مما جعل عمارته وفنونه تتسم بالسمة المعمارية والفنية الخاصة بكل دولة من تلك الدول".**[3]

كما وصف أبو القاسم سعد الله في رحلته إلى الجزيرة العربية أهل الرياض الذين يزخرون هم أيضا بعادات وتقاليد متوارثة منذ القدم وذلك من خلال تقديم الطّعام المشهور عندهم، والقهوة العربيّة التي يشربونها قبل الشروع في الأكل فقال:" (...) **وقد قدمت لهم القهوة العربية قبل تناول العشاء. ثم صففت جفان الأرز باللحم وأعقبوها بالشاي"**[4]

كما تميّز سكان أهل الرياض بعادة مشهورة وهي تقديم عروض رقصة السيوف للضيوف **"وكان من المنتظر، حسبما أخبرني بعض الزملاء، أن تأتي فرقة سعودية تقليدية لتؤدي رقصة السيوف امام أعضاء الندوة. ولكنها لم تتمكن من الحضور لأنها كانت في نفس الوقت تؤدي رقصتها في مناسبة أخرى رسمية. واذا كنا قد حرمنا من رؤية هذه الفرقة على العيان فإننا قد رأينا لقطة من رقصتها في اليوم التالي على شاشة التلفزيون".**[5]

---

[1]- المصدر السابق، ص ن.

[2]- المصدر نفسه، ص: 223.

[3]- مبارك بوطران، العمائر الدينية في المغرب الأوسط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، (د، ط)، 2011، ص: 311

[4]- أبو القاسم سعد الله، (رحلة إلى الجزيرة العربية)، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 244.

[5]- المصدر نفسه، ص: 244.

ب- المدن التاريخية والعمران:

تختزن هذه المدن تاريخ وتراث المنطقة التي تتواجد فيها وتحفظه للأجيال القادمة، ولكلّ مدينة تاريخية هويتها الخاصة وميزاتها المرتبطة بشكل مباشر بما بلغته الحضارات القديمة من تطور اجتماعي ومعماري وهو ما يكسبها أهميّة بالغة تفر في الحفاظ عليها وصيانتها بطريقة تواكب من خلالها التّطور الحضري لمحيطها.

أمّا عند زيارته لمدينة سلاّ المغربيّة لاحظ وجود الأضرحة، وبقايا عرصات جامع قديم، هذا إلى جانب جامع محمد الخامس. ويذكر الرّحالة أنّ المغاربة يولون اهتماما كبيرا بالأضرحة، وعادة ما تكون تلك الأضرحة ملحقة بجامع ومكتبة فمثلا ضريح محمد الخامس كان مثار اهتمام المغاربة صنعة واحترافية في تصميمه "**فهو يحتوي على فسيفساء نادرة، ورخام ملون، ونقوش مذهبة في الأسقف والجوانب العليا**".[1]

وعادة ما يستخدم في تغطية الأضرحة القباب، والتي تزين بمختلف الزخارف الخطية على مدارها حتى تضفي عليها بمالاً فضريح محمد الخامس حفر فيه "**آيات من القرآن الكريم على مدار القبة الخضراء والصفراء التي يزيدها لمعان الكهرباء جلالا وجمالا**".[2]

أمّا النّظام التخطيطي لهذا الضريح فيرسمه الرّحالة بحروفه قائلا:

"**وللضريح عدّة أبواب في الأسفل بعضها يقود إلى الجامع الملحق به، وبعضها يؤدّي إلى الخارج، أمّا في الجزء الأعلى فله أربعة أبواب يقف أمام كل باب جندي يحمل سيفا ويلبس الأبيض في شكل برنس مطوي إلى الخلف، وعلى راسه قبّعة تمثّل إلى الخضرة الدّاكنة. وقد علّقت أيضا مصابيح وثريا نفيسة**"[3]

[1]- أبو القاسم سعد الله، (رحلة إلى المغرب تجارب في الأدب والرحلة)، ص: 227.

[2]- المصدر نفسه، ص ن.

[3]- المصدر نفسه، ص ن.

غن هذه الآثار القديمة التي تشهدها المغرب من أضرحة وقباب ومساجد... شاهدة "**بعظمة الاسلام وأصالة العروبة في الربوع المغربية**"[1] والوطن العربي كله.

وإثر زيارة أبو القاسم سعد الله لمدينة مراكش الأثرية رفقة زميل له يدعى الأخ شحلان، عرفه من خلالها عن هذه المدينة "**ومباهجها الماضية والحاضرة: سورها القديم، ومكتبتها الكبيرة، وصومعة المكتبة التي تعود إلى عهد الموحدين، وعن القصة العتيقة**"[2] وهي كلها أثريات يقصدها الزوار من كل مكان للطلاع عليها والتمتع بجمالها.

كما تمكن الرّحالة أن يتطلع على العديد من مآثر المغاربة، منها "**سور الأندلسيين الذي يحيط بالرباط، وحارة اليهود القديمة التي يسمونها الملاّح (بتشديد اللام)، وشارع سيدي فاتح وبعض الفنادق حيث كان سفراء وقناصل الدول الأجنبية نيزلون في العهود القديمة**".[3] وهي لا تزال حتى اليوم معالم أثريّة شاهدة بعظمة الموروث الثّقافي المغربي.

كما أنّ الفنون الشعبيّة هي الأخرى تنال اهتماما كبيرا لدى المغاربة، فمعظم معالمهم الأثريّة تميزها تلك النقوش والزخارف التي تزيدها غلى جانب أثريتها رونقا وجمالا، أما مما يميز الفنون الشعبيّة فهي في معظمهما مستمدة من فنون الحضارات القديمة، غذ يغلب عليها روح الفن الاسلامي الأصيل، فالرّحالة أبو القاسم سعد الله في احدى جولاته مع رفيقه شحلان في حدائق مدينة سلا المغربيّة لاحظ حرفيون وصناع تقليديون يشتغلون بكلّ كدّ "**ويزوقون الخشب بشتى التزاويق ويتفنون في ذلك غاية التفنن**"[4] وهذه الزخارف لا تشكّل على الخشب فقط، وإنّما كانت أبواب الحديقة هي الأخرى "**عليها رسوم هندسية ملونة تأخذ من الطابع العربي الإسلامي القديم، من خطوط وزوايا ومنحنيات**"[5] ،وهذا الجانب الجمالي لهذا الفن المعماري هو الذي جعل الرّحالة يعبر عنها.

[1]- المصدر السابق، ص: 229.

[2]- المصدر نفسه، ص: 226.

[3]- المصدر نفسه، ص: 216.

[4]- المصدر نفسه، ص: 228.

[5]- المصدر نفسه، ص ن.

وهذه الزخارف الهندسية قد أحسن المغاربة استخدامها "**سواء أكانت من ابتكارهم أم من تلك التي اخذوها من مبان سابقة قديمة**"[1] فتفننوا في توظيفها بطريقتهم الخاصة، في أشكال مختلفة

الأمر الذي جعل الآثار المغربيّة القديمة شاهدة "**بعظمة الاسلام وأصالة العروبة في الربوع المغربية**"[2] وهذا ما جعل المغرب مركزا للثقافة الاسلامية والحضارة العربية، ومقلا لمختلف العلوم والفنون والآداب.

كما وصف لنا الرّحالة أبو القاسم سعد الله في رحلته غلى الجزيرة العربية عند زيارته لمنطقة الدرعية القديمة التي تبعد عن الرياض بعدّة كيلومترات فقط وهي عبارة عن بقايا لمباني قديمة تحتوي على قصور مزخرفة وأشكال لزخارف هندسية تخص أفراد الجزيرة العربية فيقول "**أما الزيارات فقد تضمنت خاصة زيارة الدرعية منشأ الدولة السعودية الأولى** (...) **عبارة عن خرائب لمباني قديمة استراتيجيّة** (...) **ويذكر المؤرخون أن جيش محمد علي والي مصر هو الذي هدم الدرعية سنة 1811 تنفيذا لأوامر السلطان العثماني بالقضاء على الحركة الوهابية عندئذ ومازالت هذه الخرائب وهي عبارة عن قصور وقلاع ومقاصير وأبواب خشبيّة مزخرفة وأشكال هندسية جديرة بالدرس والمحافظة لأنّها جزء من تراث الجزيرة العربية من جهة ومن تراث العربي والمسلمين عامة**".[3]

ومن المناطق الأثريّة التي تجول فيها أيضا هو وبعض الزوار المغاربة والتونسيين "**أنا وبعض المغاربة والتونسيين بعد صلاة الصبح مباشرة سيارة حملتنا في جولة إلى مكان غزوة الأحزاب وموضع سيدنا حمزة، ومسجد قبا ومسجد ببنات النجار. وشاهدنا هناك أيضا عدة مساجد بنيت على ما يقال، على أنقاض بيوت الصحابة والخلفاء كالإمام علي وسيدنا عمر وسيدنا أبي بكر** (...)"[4]

[1]- مبارك بوطران، العمائر الدينية في المغرب الأوسط، ص: 242.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 229.

[3]- المصدر نفسه، ص: 245.

[4]- المصدر نفسه، ص: 249.

تعدّ هذه المساجد التاريخيّة ومساكن الصّحابة وأماكن الغزوات مناطق أثرية محببة عند كل مسلم، حيث تأثر على كل من زارها ووقف عليها نظرا لأميتها وقيمتها الأثرية على نفوس زوارها.

وفي الختام نقول أنّ أدب الرّحلة الجزائري استطاع أن يوثق ويكشف الصلات التي تجمع بين بلدان المغرب العربي، ويحفظ العديد من المورثات، ويعرفها للقارئ العربي حتى تتطلع عليها الأجيال اللاحقة، فتدرك ما لم تدركه وتعايشه، خاصة وأن البعض منها متعرض للضياع، فلولا هذا الفن لضاعت العديد من الموروثات.

خاتمة:

خاتمة:

بعد دراستنا لموضوع الالتزام في أدب الرّحلة الجزائرية الحديثة، توصلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط الآتية:

1_إهتمام رجال الإصلاح في رحلاتهم بقضيّة التّفقه في الدّين .

2_التزام الرّحالة الجزائريون بقضيّة العلم، وكيفيّة تلقينه ، والوسائل المساعدة على ذلك.

3_تصوير الرّحالة لمظاهر الحب والإخلاص، والوطنيةّ ،والتّضامن، والتّعاون في المجتمع الجزائري.

4_التزام الرّحالة الجزائريون في حثّهم على العمل ووجوب اتقانه.

5_كان للموروث الثّقافي حيّزا واسعا في الرّحلات الجزائرية، فمعظم الرّحالين تحدّثوا عن مختلف المكتبات الّتي زاروها ،وذكرو المخطوطات المتواجدة بها، هذا إلى جانب استغلال بعضهم الفرصة لحضور حلقات العلم لتبادل المعارف.

6_قدّم بعض الرّحالة الجزائريين دروسا في الوعظ في أثناء طريقهم لأداء مناسك الحجّ.

7_مجالسة الرّحالة خلال رحلاتهم إلى الخارج لأهل العلم، وسعوا سعيا حثيثا إلى زيارة المكتبات والاطلاع على ما فيها من مخطوطات، كما كانوا حريصين على أخذ الإجازات من العلماء والمشايخ الكبار.

8_عمد بعض الرّحالة إلى نقل القضيّة الجزائرية والتّشهير بها في مختلف الأقطار العربية والأجنبيّة، وذلك في المحافل والمؤتمرات الدولية للتّعريف بها وكسب رأي العام لصالحها.

9_دافع الرّحالة الجزائريون عن القضيّة الفلسطينيّة وحملوا مسؤولية ضياعها إلى الحكّام العرب .

_10طرح الرّحالة الجزائريون قضيّة الاغتراب في رحلاتهم من خلال نقل معاناة سلب الجزائريين لحقوقهم والمطالبة بإنشاء مدارس لإبقائهم على صلة بالدّين الإسلامي.

11_رصدت الرّحلات الجزائرية الخارجية المعالم الحضارية في مختلف الجوانب الحياتية في البلدان الّتي قصدوها، حيث عكست احوال المجتمع هناك وعاداته، وكشفت عن الانتماء لثقافة الذّات والفهم لثقافة الآخر.

خاتمة:

وفي الختام نحمد الله الّذي أعاننا على إتمام ما كلّفنا به من عمل ، ونتمنى من الله ان ينفعنا به، وأن ينال استحسان من يطّلع عليه، كما نرجو إرشادنا إلى ما حدث فيه من نقص أو تقصير ، ونسأل الله أنّ يوفقنا إلى ما يحب ويرضى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليما كثيرا إلى يوم الدّين.

ملحق:

1-التّعريف بالطّيّب المهاجي الجزائري.

2-التّعريف بعبد الحميد ابن باديس.

3-التّعريف بالبشير الإبراهيمي.

4-التّعريف بمالك بن نبي.

5-التّعريف بأبو القاسم سعد الله.

6-صور لبعض المناطق المزارة من قبل الرّحالة.

1-التّعريف بالشّيخ الطّيّب المهاجي الجزائري:

وهو الطّيّب بن المولود بن مصطفى بن الفريح ولد سنة 1300هـ/1881م بالكهدة من قبيلة أولاد علي إحدى قبائل "بني عامر بن زغبة"، كانوا قد انتجعوا من جزيرة العرب أوائل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وتوفّي بتاريخ 17أكتوبر1967م عن عمر ناهز 88سنة.

تلقّى الشّيخ الطّيّب المهاجي المبادئ الأولى في التّربية الإسلاميّة على يد والده. كما ختم القرآن وعمره تسع سنوات لينتقل بعد ذلك إلى حلقات الدّرس على يد الشّيوخ، الّذين أتى على ذكرهم ضمن كتابه "أنفس الذّخائر وأطيب المآثر في أهمّ ما اتّفق لي في الماضي والحاضر"، تلقّى العلوم النّقليّة على يد علماء ناحيته وهم: الشّيخ محمّد بن فريح أخذ عنه مختصر الشّيخ خليل. وحصل عن الشّيخ محمّد بن العربي الشّرفي باب المواريث من مختصر خليل. بينما تلقّى على الشّيخ محمّد الكندوز التنسي معظم مختصر خليل والأجروميّة مرّات، وقطر النّدى لابن الهاشم، وألفيّة بن مالك، ولاميّة الأفعال في الصّرف والسّمر قندية في البيان.

وقد نال الشّيخ الطّيّب المهاجي عند نهاية تلقّيه لتلك العلوم عدّة إجازات من داخل وطنه وخارجه، وقد قيّد ذكر أسماء شيوخه ضمن كتابه السّابق الذّكر، وهم كالتّالي: الشّيخ عبد السّلام بن صالح الغريسي (ت1320هـ/1902م)، الشّيخ أبو شعيب الدّكالي (ت1356هـ/1937م)، الشّيخ عبد الحي الكتاني الفارسي (ت1348هـ/1929م)... ويلاحظ أنّ تلك الإجازات تباينت ما بين المكتوب والشّفوي، والمنظوم والمنثور[1].

[1]-ينظر ترجمته في: فاطمة بلهواري، الرحلة الحجية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري، ص: 223-224.

2-التّعريف بعبد الحميد بن باديس: (1307-1359هـ)(1889-1940م):

عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: من كبار رجال الإصلاح والتّجديد في الإسلام، والزّعيم الرّوحي لحرب التّحرير الجزائريّة، ورئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين منذ بداية قيامها سنة 1931إلى وفاته.

ولد بمدينة قسنطينة لأسرة مشهورة بالعلم والثّراء، والجاه وتعلّم بمسقط رأسه ثمّ بتونس حيث أتمّ دراسته في جامع الزّيتونة وتخرّج بشهادة التّطويع (1911-1912)وعاد إلى بلده فدرّس بالجامع الكبير، وحاك أعداؤه المكائد ضدّه، فرحل إلى المشرق والحجّ، ولقي في رحلته جماعة من العلماء، وعاد سنة 1913، فقام يعلّم النّشء الجزائري ويعدّه من أجل المستقبل، وفي سنة 1926، أصدر جريدة (المنتقد) ولكنّها لم تعمر طويلا، فأصدر بعدها (1926) مجلّة "الشّهاب"، وأصدر فيما بعد صحفا أخرى "كالشّريعة" و"السنة المحمّديّة" و"الصراط"، ولكنّها أيضا لم تعمر طويلا.

كان شديد الحملات على الاستعمار الفرنسي، وحاولت الحكومة الفرنسيّة إغراءه ببعض المناصب، فامتنع واستمرّ في جهاده، وقد امتدّ نشاطه إلى بقيّة المدن الجزائريّة كوهران وتلمسان والجزائر العاصمة، وأنشأت جمعيّة العلماء المسلمين في أيّام رياسته لها كثيرا من المدارس. توفّي بقسنطينة.

من آثاره "مجالس التّذكير" في التّفسير، و "العقائد الإسلاميّة" و "جواب سؤال عن سوء مقال" في الرّدّ على أحمد بن عليوه الصّوفي[2].

3-التّعريف بمحمّد البشير الإبراهيمي:(1306-1385هـ) (1889-1965م)

[2]-ينظر ترجمته في: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980،ص: 28-29.

محمّد بن البشير بن عمر الإبراهيمي رئيس جمعيّة العلماء المسلمين، وعضو المجامع العلميّة العربيّة في القاهرة ودمشق وبغداد، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، خطيب، من الكتاب البلغاء العلماء بالأدب والتّاريخ واللّغة وعلوم الدّين.

ولد في قصر الطّير، في قبيلة ريغة الشّهيرة "بأولاد ابراهيم" بدائرة سطيف، تلقّى دروسه الأولى عن أبيه وعمّه، ثمّ في زاوية ابن شرف في شلاطة بجبال القبائل، هاجر إلى المدينة المنوّرة (1911م) فأتمّ الدّراسة العالية فيها، ثمّ انتقل إلى دمشق (سنة 1917) وعمل أستاذا للأدب العربي بالمدرسة السّلطانيّة. وكان من بين زعماء العرب وقادة الفكر، كما شارك في تأسيس المجمّع العلمي العربي سنة 1921. وفي نفس السّنة عاد إلى الجزائر، وانقطع للخدمة العامّة مع رائد النّهضة ابن باديس وصحبه، ولما تأسّست جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين سنة 1931، كان من أبرز مؤسّسيها وانتخب نائبا للرّئيس عبد الحميد بن باديس.

وفي مطلع الحرب العالميّة الثّانية (سنة 1940) نفاه الفرنسيّون إلى "آفلو" في جنوب الجزائر، ومات بن باديس في نفس السّنة فانتخب لرئاسة جمعيّة العلماء خلفا له وهو في منفاه.

واستمرّ معتقلا ما يزيد على ثلاثة سنوات، ثمّ اعتقل وسجن وعذّب سنة 1945، وفي هذه الفترة من حياته أنشأ عددا كبيرا من المدارس العربيّة، وأهمّها معهد عبد الحميد بن باديس الثانوي بقسنطينة، كما تولّى مسؤوليّة جريدة "البصائر" ذائعة الصّيت في المغرب والمشرق، وفي سنة 1952 رحل إلى المشرق وجال في أكثر بلدانه ثمّ استقرّ بالقاهرة، واندلعت نار الثّورة الجزائريّة التّحريريّة (1954)، فانتدب من قبل قيادتها للقيام بمهمّات لدى الدّولة العربيّة والإسلاميّة، وعند استقلال الجزائر 1965م، عاد إليها وأقام بالعاصمة مريضا وبقي بهذا الجهد والعياء إلى أن توفّي.

من آثاره: عيون البصائر. طبع منها مجلّدان، والاطراد والشّذوذ في اللّغة وأسرار الضّمائر في العربيّة والتّسمية بالمصدر وكاهنة الأوراس، وسالة الضّب، وفصيح العربيّة من العاميّة الجزائريّة، وأرجوزة

في 36ألف بيت ضمنها تقاليد الشّعب الجزائري وعاداته...إلخ، كما له مقالات كثيرة نشرت في صحف المغرب والمشرق[3].

4-التّعريف بمالك بن نبي:(1323-1393هـ)،(1905-1973م)

مالك بن نبي كاتب ومفكّر إسلامي، له طابع العلم الاجتماعي، ولد بقسنطينة، ودرس القضاء في المعهد الاسلامي المختلط وتخرّج في الثّلاثينيّات-مهندسا ميكانيكيّا في معهد الهندسة العالي بباريس، وزار مكّة وبعض الأقطار الاسلاميّة، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره باللّغة الفرنسيّة، وترجم بعضها إلى العربيّة، تولّى إدارة التّعليم العالي (سنة 1963)، بوزارة الثّقافة والإرشاد القومي، وكان عضوا في مجمّع العلوم الإسلاميّة بالقاهرة.

من آثاره "الظّاهرة القرآنيّة"، و "مشكلة الثّقافة"، و "شروط النّهضة" و "وجهة العالم الاسلامي" و "مذكّرات شاهد القرن-الطّفل-" و "ميلاد المجتمع" و "دور المسلم" و "رسالته وبين الرّشاء والتّيه"[4].

5-التّعريف بأبو القاسم سعد الله:

أبو القاسم سعد الله الملقّب بشيخ المؤرّخين الجزائريّين، اسمه الحقيقي "بلقاسم وليس" "أبو القاسم" كما اشتهر في السّاحة العلميّة، حيث صرّح ذلك قائلا: أحمد هو اسم والدي... أمّا اسمي فهو بلقاسم، أمّا أبو القاسم فكنت أنا من استعملته في الأدبيّات.

ولد أبو القاسم سعد اللّه ببلدة الوادي جنوب شرق الجزائر، في الأوّل من يونيو سنة 1930م بضواحي قمار، درّس بجامع الزّيتونة من سنة 1947م حتّى 1954م. واحتلّ المرتبة الثّانية في دفعته، بدأ يكتب في صحيفة البصائر لسان حال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين سنة 1954م.

[3]-المرجع نفسه، ص: 13-14.

[4]-المرجع نفسه، ص : 283

كان يطلق عليه لقب "النّاقد المميّز"، كما درس بكلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في القاهرة، وحاز على جائزة أو شهادة الماجستير في التّاريخ والعلوم السّياسيّة سنة 1962 ثمّ انتقل إلى أمريكا سنة 1962، حيث درس في جامعة منيسوتا والّتي حصل منها على شهادة الدّكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر باللّغة الإنجليزيّة سنة 1965م، إضافة إلى إتقانه للّغة العربيّة والإنجليزيّة أتقن كذلك اللّغة الفارسيّة والألمانيّة.

ولقّب أبو القاسم سعد الله بشيخ المؤرّخين الجزائريّين ، فهو باحث ومؤرّخ حفظ القرآن الكريم، وتلقّى مبادئ العلوم واللّغة وفقه الدّين، وهو من رحلات الفكر البارزين، ومن أعلام الإصلاح الاجتماعي والدّيني، له سجل علمي حافل بالإنجازات وتقلّد عديد المناصب وقام "بالعديد من التّرجمات لأمّهات الكتب.

توفّي عن عمر يناهز الثّلاثة والسّبعين عاما (73 عاما) وكان ذلك في 12 ديسمبر عام 2013م، بالمستشفى العسكري في أثناء علاجه من مرضه.

ومن مؤلّفاته:

-موسوعة تاريخ الجزائر الثّقافي (9مجلّدات)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

-أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (5أجزاء)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993-2004م.

-الزّمن الأخضر، ديوان سعد الله، الجزائر، 1985م.

-سعفة خضراء، ديوان سعد الله، الجزائر، 1986م.

-تجارب في الأدب والرّحلة 1982م.[5]

[5]-ينظر ترجمته في: حفيضة زين، النقد الأدبي في آثار أبي القاسم سعد الله، أطروحة دوكتوراة، كلية اللآداب و اللغات، قسم الأدب واللغة العربية، جامعة قسنطينة2014،1-2015، ص: 13-14-15-16-17.

6-صور لبعض المناطق المزارة من قبل الرّحالة:

الزاوية الرحمانية لمسجد الشيخ عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الخنقي

مسجد بخنقة سيدي ناجي

ملحق:

خنقة سيدي ناجي

الرحالة البشير الابراهيمي في باكستان

جامع بخنقة سيدي ناجي

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم، رواية حفص، دار التراث، (د،ط)،(د،ت).

❖ أبو عبد الله محمد اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، دمشق ط1 ، 2002

➢ **أولا: المصادر:**

1.أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997، ج4.

2.الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي و الحاضر ، الشركة الجزائرية ، وهران ،(د،ط)، (د،ت).

3.عمار الطالبي، آثار ابن باديس ، الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط3، 1997، مج2.

4.أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب و الرحلة ، المؤسسة الوطنية الكتاب ، الجزائر، (د،ط)، 1983.

5.مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، دار الفكر المعاصر ، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

➢ **ثانيا: المراجع:**

1.أحمد طالب الإبراهيمي ،الإلتزام في القصة الجزائرية القصيرة المعاصرة في (1931_1976)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر، (د،ط)، (د،ت).

2.جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم الملايين ، بيروت، ط2،(د_ت).

3.جون بول سارتر ، ماالأدب ، تر:محمد غني هلال، دار النهضة، مصر، القاهرة ،(د،ط)،(د،ت).

4.سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1985.

5.عادل نويهض ، البشير الابراهيمي عظيم عظماء الجزائر ، دار الأبحاث، الجزائر، (د،ط)، (د،ت).

6.عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2 ،1980.

7.أبو عبد الرحمان محمد ، تفسير ابن باديس او مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، دار الرشيد ، الجزائر ،ط1، 2009 ،مج2

8.عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية المعاصرة ، دار الكتاب العربي ، القاهرة، (د،ط)، 1979 .

9.علي محمد الصلابي ، كفاح الشعب الجزائري منذ الاحتلال الفرنسي وسيلة الزعيم عبد الحمد بن باديس ، دار ابن كثير ، دمشق ، (د،ط)، 2016 ،ج2

10. عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائرين في الرحلة العربية الحديثة ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د،ط)، 1956 .

11. عمر بن قينة ،في الأدب الجزائري الحديث ،(تاريخا ،وأنواعا ، و قضايا ، وأعلاما) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (د،ط)، 1955 .

12. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسبانية ،بيروت ، ط1 ، 1998 ، ج1

13. لخضر العرابي ، الأدب الاسلامي ماهية و مجالاته ، دار الغرب ، وهران ،(د،ط) ، 2003 .

14. مبارك بوطرن ، العمائر الدّينية في المغرب الأوسط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، المغرب ، (د،ط)،(د،ت).

15. محمد بوزواوي ، مصطلحات في الأدب ، مؤسسة الإخوة مدني ، (د،ط)، 2003.

16. محمد قطب ، دراسات في النفس الانسانية ، دار الشروق ، بيروت ، (د،ط) ،1974 .

17. محمد مصايف ، دراسات في النقد و الأدب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ،1981 .

18. محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، من اوائل العشرينيات من هذا القرن إلى أوائل التسعينات منه ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ط2 ،(د،ت) .

19. منال عبد المنعم جاد الله ، الإتصال الثقافي دراسة الانثروبولوجية في مصر و المغرب ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، (د،ط) ،(د،ت) .

20. ناصر عبد الرزاق الموافى ، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري ، دار النشر الجامعات المصرية ،القاهرة ، ط1 ، 1995.

21. هنري أرفون، تر: عادل العلوا، فلسفة العمل ، عويدات ، بيروت ، ط2، (د،ت) ،

➢ ***ثالثا: المعاجم و القواميس:***

1.ابراهيم أنيس و آخرون ، معجم الوسيط معجم اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط4، 2004.

➢ ***رابعا : المجلات و المقالات :***

1.أحمد شنتي، الجزائر والقضية الفلسطينية... صفحات من الجهاد المشترك، جامعة الشيخ العربي التبسي ،كلية العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة، تبسة .

1.عبد العليم محمد اسماعيل علي ، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة ، جائزة الطيب صالح العلمية للابداع الكتابي ، الدورة الثامنة، 13ساو 54د ، 26ماي 2021، www.sdzaim.com

2.عثامنية أحلام ، محاضرات أدب الرحلة في الجزائر ،كلية الآداب و اللغات ، قسم اللغة و الأدب العربي ، جامعة 8ماي1945 ، قالمة ، الجزائر ، 2019_2021.

3.عواج حليمة ، تشكلات الخطاب الرحلي عند البشير الابراهيمي بين العلمية و الامتاع الأدبي ، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة باتنة، الجزائر ، ع2، 2019 .

4.فاطمة بلهراوي ، الرحلة الحجية للشيخ المهاجي الجزائري في عام 1932 من خلال كتابه أنفس الذخائر و أطيب المآثر ، مجلة الموروث ، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية ، قسم التاريخ، جامعة السلطان، قابوس سلطنة عملت ، ع1 ، 2020.

5.أبو القاسم العباسي، الشيخ الابراهيمي ، 02ساو52د.31ماي 2021 https//:binbadis,net،

6.محمد بشكر ، دور الإمام عبد الحميد بن باديس في تمتين الروابط الثاقفية بين تونس و الجزائر ، 22ساو18د،https://binbadis.net

7.ميساء نبيل عبد الحميد ، الغربة و إغتراب في روايات ، 12ساو36د ،5جوان2021 www.alnakedaliraqu.net.،

- ***خامسا: المذكرات و الرسائل :***

1.ابن جليّ عبد الله، القمة العربية في الشمال الإفريقي ، رسالة ماجستير ،جامعة عين شمس كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ،1976 .

2.السعيد بوبقار ، فلسطين في أدب الإبراهيمي ،رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماجستير ، جامعة الإخوة منتوي ، قسنطينة كلية الآداب و اللغات ،قسم اللغة العربية وأدابها، 2008_2007.

3.عيسى بختين ، أدب الرحلة الجزائري الحديث ، سياق النص و خطاب الانساق، أطروحة دكتوراة، علوم في الأدب علوم في الأدب الجزائري الحديث ، قسم اللغة العربية ،كلية الآداب و اللغات ، جامعة تلمسان ، الجزائر ،2016 .

- ***سادسا:المواقع الالكترونية:***

1.https://www.almaany.com 27ماي2021 ***،18ساو03د.***

2.or.islam wag.net. 2021 ماي18،42ساو12.

3.www.alkhaleej.ae ,2021ماي25، 57ساو13.

4.www.slideshare.net ,2021ماي25،36ساو21.

فهرس الموضوعات:

الشكر

المقدمة:.....**أ، ب،ج**

المدخل : مفاهيم ومصطلحات

1_مفهوم أدب الرّحلة :.....05-07

2-نشأة أدب الرّحلة في الجزائر وتطوّره : 08-12

3- التّعريف بالرّحلات قيد الدّراسة :.....12

أوّلا: رحلات بن باديس:.....12-13

ثانيا: مالك بن نبي:.....14

ثالثا : رحلة أبو القاسم سعد الله (خنقة سيدي ناجي): 14

رابعا: رحلات البشير الإبراهيمي: 15

خامسا: رحلة الطيّب المهاجي إلى الحجّ :.....15-16

4- مفهوم الالتزام:.....14-18

5- الفرق بين الالتزام والالزام: 18

6-الالتزام في الأدب الجزائري:..... 19-20

الفصل الأوّل: قضايا الالتزام في الرّحلات الجزائريّة الداخليّة الحديثة:

تمهيد.....23

أولا-قضيّة الدّين: 26-23

ثانيا-قضيّة العلم: 33-26

أ_ الزّوايا: 29-27

1_ الجامع الكبير: 30

2_ مسجد السّوق: 30

3_مسجد زاوية الشّيخ عبد الحفيظ الخنقي: 31

ب_ المساجد: 31

- مسجد كرزدة: 31
- مسجد سدراتة: 31

ثالثا-قضيّة القيم الأخلاقيّة: 35-33

رابعا-قضيّة العمل : 37-36

خامسا-قضيّة الموروث الثّقافي: 44-37

أ_ العادات والتّقاليد: 40-37

ب-المعتقدات:.....42-40

ج- الموروث: 44-42

الفصل الثاني: قضايا الالتزام في الرّحلة الجزائريّة الحديثة الخارجيّة:

تمهيد:.....46

أوّلا-قضيّة العلم:.....46-53

ثانيا-قضيّة الدين:.....53-55

ثالثا-القضيّة الجزائرية ابّان الاستعمار:.....55-58

رابعا-قضيّة الاغتراب:.....58-60

خامسا-القضيّة الفلسطينيّة :.....60-63

سادسا-قضيّة الموروث الثقافي:.....63-71

أ-الموروث:.....63-67

ب-المدن التّاريخيّة:.....68-71

خاتمة:.....73

ملحق:.....76

1-الشيخ الطيب المهاجي الجزائري:.....76

2-عبد الحميد ابن باديس:.....77

3-البشير الإبراهيمي:.....77-79

4-مالك بن نبي:.....79

5-أبو القاسم سعد الله:.....79-80

6-صور لبعض المناطق المزارة:.....81-88

قائمة المصادر والمراجع:.....89

فهرس الموضوعات:.....94

الملخص:

موضوعنا يعالج مظاهر الإلتزام في الرحلة الجزائرية الحديثة، وقع اختيارنا على مجموعة من الرحلات الجزائرية الحديثة الداخلية و الخارجية منها، وانصب عملنا في دراسة القضايا التي التزم بها الرّحالة الجزائريون في رحلاتهم من قضايا وطنية كالعلم و الدين و القضية الجزائرية ابان الاستعمار... و قضايا قومية كالقضية الفلسطينية...

الكلمات المفتاحية:

الرَحلة الجزائرية الحديثة، الخارجية، الداخلية، الالتزام، القضايا، الوطنية، القوميَة.

Summary:

Our theme processe the commitment transfiguration in the modenn Algerian trot, and our selection effect am anthology of the both internal and external Algerian modenn trips, our proceeding focused on studying issues that Algerian great traveller committed about in their trips like patriotism issues such as science and religion and the colonialism... And national cases like the Palestinian issue...